"عماية" "الحصاة" في الأدب العربي

إِعْدادُ:

د. حمد فهد محمد جنبان القحطاني

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية جامعة الطائف فرع تربة

المقدمة

"عماية" من أكبر جبال العرب وأشهرها، وهو جبلان عظيمان فيهما كهوف كثيرة يتحصن فيها الهاربون، وهو سلسلة جبال حمر وسود في شكل جبلين ضخمين مستديرين، تعد من أعظم جبال نجد، واسم "عماية" مأخوذ من العمى؛ لأن من دخل هذا الجبل عمي خبره، والموضوع الأعمى هو الذي خفيت طرقه وجُهلت مسالكه. و"عمايتان" جبلان متجاوران قريبان من جبل "يذبل" في "نجد"، بل تقعا بين جبل "يذبل" وجبلي "صاحة" و"عسيب".

وقد سمي الجبل "عماية"، ثم "الحصاء" الذي تحول إلى "الحصاة" مع مرور الزمن، فهو "عماية" قديمًا، وهو "الحصاة" حديثًا.

كان لـ"عماية" حضور كثيف في الإبداع العربي، تجلّى ذلك في قصص العرب التي سردت سيرة الجناة الذين هربوا فاحتموا بـ"عماية"، من أمثال "القتّال الكلابي" وغيره، حيث علّق الشعر على النثر القصصي، بالإضافة إلى تناول النثر لها في موضعين آخرين مثل الحكم والرسائل، ثم حضر "عماية" في الشعر العربي عند كبار الشعراء عبر العصور، من أمثال امرئ القيس، ولبيد بن ربيعة، وجرير، وابن الرومي، وأبي العلاء المعري، وابن هانئ الأندلسي، وغيرهم، حيث تناولوا جبل "عماية" من جوانب وصفه وطبيعته وجغرافيته ونباته وحيوانه، كما ربطوا بينه وبين أغراض الشعر المختلفة من مديح وفخر وهجاء ورثاء ووصف، وعرّجوا على ربط فلسفة الموت بـ"عماية"، وتشبيه الجيوش به.

ويطرح البحث عددًا من التساؤلات: هل كان جبل "عماية" ملهمًا

للشعراء؟ هل ارتبط بأغراض شعرهم؟ هل كان له تواجد في أدبهم القصصي والنثري؟ هل اتضحت صفاته التي تفرد بها في إبداعهم؟

وتتجلّى أهميته في عدم وجود بحث سابق تناول هذا الموضوع، وفي إيضاح موقع جبل "عماية" في الأدب العربي، وحضوره الكثيف في إبداع العرب على مر العصور.

وهذا البحث يهدف إلى استكمال سلسلة بحوث تدرس مواضع مهمة في جزيرة العرب –بخاصة عالية نجد– وحضورها في الإبداع العربي؛ ليؤكد استحقاقها الدراسة، لتبيين دورها في تراث العرب الأدبي، بالإضافة إلى كوني من سكان هذا المكان الذي خلا من كتابة مستقلة عنه، وما استوحاه الأدباء والكتاب من لمحات كان عن بعدٍ، فلم يحالف غالبيته التوفيق.

يتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث يجمع النماذج الأدبية التي تناولت جبل "عماية"، ويحللها سعيًا إلى كشف حضور هذا الجبل في الإبداع العربي لدى الكتاب والشعراء، ودوره في تأكيد المعاني التي تناولوها، والتشبيهات التي استخدموها.

وقد جعلت البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تناولت في المقدمة موضوع البحث وأهميته وتساؤلاته وأهدافه ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: درست فيه "عماية"، وتحولاتها من "عماية" إلى "الحصاء"، ثم "الحصاة"، ودلالة الاسم، وذكر صفاتها.

والمبحث الثاني: خصصتُه لحضور جبل "عماية" في الإبداع الأدبي العربي من خلال قصص العرب التي كان للجبل حضور فيها، بالإضافة إلى

أنواع النثر الأخرى، مثل الحكم والرسائل.

والمبحث الثالث: جعلته في بحث حضور "عماية" في الشعر العربي من خلال نماذج متنوعة من العصور المتعاقبة لشعراء كبار تحدثوا عن "عماية" من حيث الحضور والغياب، وفلسفة الموت، وتشبيه الجيوش بـ"عماية"، وحيوانه ونباته ووصف مطره، ووصف الجبل جغرافيًّا وبيئيًّا.

الخاتمة: عرضتُ فيها أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم أعقبتها بثبت المصادر والمراجع التي استعنت بها.

وأسأل المولى –عز وجل– أن يكون في هذا البحث ما يفيد. . . والله ولي التوفيق.

الباحث

د. حمد فهد جنبان

المبحث الأول: "عماية" الوصف وتحولات الدلالة

يعد "عماية" من أشهر جبال شبه الجزيرة العربية، وكان له حضور بين الشعراء والأدباء والعامة قديمًا، حتى أصبح مثلاً بالثقل كمثل غيره من الجبال المشهورة، وتميز جبل "عماية" بكبره وسعة مساحته وتنوع مناخه وطبيعة تضاريسه، فأصبح حصنًا منيعًا للجناة وللصيد وللسباع، حتى أهله يحتمون فيه من الغزاة وغير ذلك، ولعل له من اسمه نصيبًا، كما سيظهر لنا في هذا المبحث من التحول في أسمائه.

وصف "عماية" في كتب التراث

قيل: هي جبال حمر وسود[1]، وهو جبل مستدير. . . ، وأقل ما يكون العرض والطول عشرة فراسخ، وهي هضبات مجتمعة متقاودة حمر، ومعنى متقاودة متتابعة، فيها الأوشال، وفيها الأروى، وفيها النمر، وأكثر شجرها البان، ومعه شجر كثير، وفيه قلال لا تؤتى، أي: لا تقطع[2].

و"هو جبلٌ عظيمٌ فيه كهوفٌ كثيرةٌ، فإذا دخلَ فيها الرجلُ لم يعلم له موضع، فتحصن فيه"[3].

"عماية" وحدها جبل ذو هضاب متقاربة، ومسالكها منيعة، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى[4].

---

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م٤، ص ١٥٢.

(٢) المرجع السابق، م٤، ص ١٥٢.

(٣) الحسن بن عبد الله القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: محمد حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ج١، ص ٥٥٠.

(٤) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مطبعة =

قال أبو عليٍّ: "عماية" جبلٌ ضخمٌ، أعظمُ جِبالِ النجدِ، أعظمُ من ثهلان ومن قطْنيْن[١]، ووصفها "الهمداني" بعذوبة مائها في قوله: "وعماية عذاب كله، والقطانية ملح ببطن السرة"[٢].

علاقة الاسم بالجبل

جبل "عماية": يجوز أن يكون من العما، وهو الطول، يقال: ما أحسن عَما هذا الرجل، أي: طوله، ويجوز أن يكون عَمي يَعمى إذا سأل، والعَميُ مثال الظبي: دفعُ الأمواج القذَى والزبد من أعاليها، وقيل: العماية الغوَاية، وهي اللجاجة، والـ"عماية": السحابة الكثيفة المطبقة. وقيل: هي جبال حمر وسود، وسُميت به؛ لأن الناس يضلون فيها يسيرون فيها مرحلتين[٣].

وقال أبو زياد الكلابي: وإنما سُمّي "عماية"؛ لأنه لا يدخل فيه شيءٌ إلا عميَ ذكره وأثرُه[٤].

وقال البكري: "عماية" بفتح أوله، وبالياء أخت الواو، على لفظ فَعَالَة من العمى[٥].

= مرامر، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ، ج١، ص ٣٧.

(١) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات، تحقيق: حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ٧٩٢، ١٤٧٩، ١٤٨٠.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٢٦٩.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٤، ص ١٥٢.

(٤) المرجع سابق، م٤، ص ١٥٢.

(٥) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج٣، ص ٩٦٦.

ويقول "محمد بن بليهد" "عماية" وحدها جبل ذو هضاب متقاربة، كان ذؤبان العرب في الزمن القديم يأوون إليها، فإذا دخل أحدهم "عماية" عمي خبره، ومسالكها منيعة، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى، فمن هنا سميت "عماية"[(١)].

ويؤكد "ابن جنيدل" على ذلك بقوله: "يبدو لي أن تسميتها بعمايتين مشتقة من العمى، والموضع الأعمى–فيما تعارف عليه العرب– هو الذي خفيت طرقه وجهلت مسالكه، والعرب في نجد– في هذا العهد يقولون للصحراء التي لا أعلام فيها ولا معالم يهتدى بها: حزم عمى، أي: أعمى، وكذلك يقولون للجبل المجهول المسالك"[(٢)].

تحديد "عماية":

"عَمَايتَان: تثنية "عماية" بفتح أوله وتخفيف ثانيه، وبعد الألف ياءٌ مثناة من تحت، وباقية للتثنية، و"عماية" ويَذْبل: جبلان بالعالية، وثني "عماية" وهو جبل كما ثني رامتان"[(٣)].

"عماية": بفتح أوله، وتخفيف ثانيه، وياءٍ مثناة من تحت: اسم جبل، وقال نصر: عمايتان جبلان؛ "عماية" العليا اختلطت فيها الحريش وقشير والعَجْلان، و"عماية" القُصيا هي لنُهم شرقيها كله، ولباهلة جنوبيها

(١) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٣٧.

(٢) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ١٣٩٨هـ، ق١، ص ٣٧٩.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٤، ص ١٥٢.

وللعجلان غربيها[١]، وقال أبو زياد الكلابي: "عماية" جبل بنجد في بلاد بني كعب للحريش وحق والعجلان وقشير وعقيل[٢].

وقال الأصفهاني: "من الجبال عمايَتان، أحدهما للحريش، والأخرى لِنُهْمٍ، وهم بنو عبد الله بن كعب إخوة العجلان"[٣].

قال أبو عليٍّ: "عماية" جبلٌ ضخمٌ، أعظمُ جِبالِ النجدِ، أعظمُ من ثهلان ومن قطنين، و"عماية" برمل السرة، بين سواد باهلة وبيشة[٤]. وقال الهجري في تحديد ثهلان: "بسرة نجد، بين باهلة وبين "عماية"، وأقرب بلد منه الريب، بلد مُريحٍ، من بني قشير، به نخل ومزارع"[٥].

وفي معجم ما استعجم للبكري: "عماية". جبل بالبحرين ضخم، لذلك قيل في المثل: أثقل من "عماية". وقد تقدم ذكره في رسم الرَّكاء[٦] ورسم

---

(١) المرجع سابق، م٤، ص ١٥٢.

(٢) المرجع سابق، م٤، ص ١٥٢.

(٣) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ٢٣٤.

(٤) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات، مرجع سابق، ص ٧٩٢، ١٤٧٩، ١٤٨٠.

(٥) المرجع سابق، ص ٧٦٥، ١٣٦٣.

(٦) يقع هذا الوادي شمال الهضب، ويشمل بداياته الدخول والأروسة والرقاش وذقانين والسوادة وحصاة قحطان الجنوبية، تبدأ روافده الرئيسية من الضريبة ضريبة الزيدي، ومن الأروسة والدخول والرحاوي، وهضاب سلامة، ويحامر، وتتجه شرقًا حافة بذقانين من طرفيهما الشمالي والجنوبي وبينهما وتلتقي بهما أودية السوادة من غمرة والحوار والأرمض والإريمض، ويكتمل مجراه جنوب الحصاة الجنوبية، وتدفع فيه سيولها وتلتقي به أودية أخرى من جانبيه، كلما تقدم مجراه، وبعد تجاوزه الحصاتين يلتقي به وادي السرة =

صاحة[1]"[2]، وقد رد "سعد بن جنيدل" على "البكري" في تناقضه عند حديثه عن موقع "عماية" بقوله: "فيما ذكره البكري تناقض كان ينبغي أن يتنبه له بنفسه –رحمه الله– فبينما نجد أنه يقول: "عماية" جبل بالبحرين، نجده يقول بعد ذلك، وقد تقدم ذكره في رسم الرَّكاء ورسم صاحة، فكيف يكون في البحرين وهو مقترن بصاحة والركاء ويذبل؟ وهو يقرر ذلك، وهذه المواضع كلها معروفة ومشهورة في عالية نجد الجنوبية"[3].

وقال "محمد بن بليهد" إن مكانها في عارض اليمامة، بقوله: "ف"عماية" وعلية جبلان عظيمان في عارض اليمامة"[4]، وقال أيضًا: إنه

= –بعد أن اجتمعت– يلتقي به وادي العمق، وهكذا كلما تقدم مجراه التقت به أودية عظيمة مثل وادي الرين؛ حتى يفلق جبال طويق شرقًا ويصب في وادي برك، جنوب حوطة بني تميم. (انظر: سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٢، ص ٦١٨، ٦١٩)، وقد تناولت ذلك في كتاب مواطن التعريف في منطقة العريف، دار المأمون، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ، ص١٠٣، ١٠٧.

(١) ففي رسم صاحة يقول البكري: "صَاحَة" بالحاء المهملة: جبل أحمر بين الركاء والدخول. . وقال يعقوب: قال أبو زياد الكلابي: صاحة: هضبتان عظيمتان، لهما زيادات وأطراف كثيرة، وهي من "عماية"، تلي مغرب الشمس، بينهما فرسخ" (انظر: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٢٠، ٨٢١)، وصاحة: هي هضبة في عالية نجد الجنوبية في ضفة وادي الركاء من الجنوب، (انظر: ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه، ص ٢٤١).

(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٦٦.

(٣) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٣٧٩.

(٤) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع =

أخذ هذا الخبر عن "محمد بن بليهد"[١]، ورد عليه "سعد بن جنيدل" بقوله: "غير أنه لا يعرف أحدًا من أهل الأخبار قال: إن "عماية" تقع في عارض اليمامة، بل إنهم وصفوا عمايتين وصفًا جغرافيًّا واضحًا وحددوها تحديدًا دقيقًا، مدعمًا بالشواهد التي لا تدع مجالاً للشك فيه"[٢]، وما نراه من رد "الجنيدل" كاف، وستظهر الشواهد من خلال الدراسة.

ونجد "عبد الله بن خميس" يرفض أن تكون "عماية" في سافل نجد من اليمامة، ومن ذلك قوله: "كما وهم بعض الباحثين حينما قال: إن "علية" هي "عماية". . . وهو قول لا يؤيده الواقع، ولا تقاربه الحقيقة"[٣].

ويؤكد "الهمداني"[٤] تحديد موقع "عماية" وعمايتين في كتاب "صفة الجزيرة" عند رسمه طريق حجاج الأفلاج؛ إذْ ذكر طريقين الأول يمر بين عمايتين، وذلك في قوله: "ومن قبلة الفلج[٥] فرع وادي أكمة[٦]، وبه بنو

= سابق، ج١، ص ٣٧.

(١) المرجع سابق، ج١، ص ٣٧.

(٢) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٣٨٤.

(٣) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٧٩.

(٤) عام ٣١٩هجري كان مسجونًا في اليمن، انظر "صفة الجزيرة" ص ١٦.

(٥) فلج: يسمى فلج الأفلاج؛ لأنها أفلاج كثيرة، وأعظمها هذا الفلج؛ لأنه أكثرها نخلاً ومزارع وسيوحًا جارية، وهو فلج من الأفلاج، وهو لبني جعدة (معجم البلدان، م٤، ص ٢٧١).

(٦) أكمة إحدى قرى (الأفلاج) التاريخية، قال ياقوت: أكمة اسم قرية باليمامة، بها منبرٌ وسوقٌ لجعدة، وقشيرٌ تنزل أعلاها، وتقع (أكمة) في وادٍ عظيمٍ أعلاه بين جبلين من منحدرات جبل العارض غربي (ليلى)، وفي أعلى وادي أكمة بلدة الأحمر، ويسمى وادي أجمة الآن وادي الأحمر. (انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص ٢٢٧، وانظر: معجم البلدان، م٤، ص ٢٧١، وانظر: عبد الله بن =

عبد الله بن جعدة، فأول جزع منها الروقية[١]، والثاني الباحة[٢] ثم جزع الظاهرة[٣]، ثم الفرعة[٤]، ثم كرز[٥] عن يمين الثنية[٦]، ثم تنحدر من الثنية

= خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ١٠٥، ١٠٨).

(١) منهل في وادي (الحمر) من الأفلاج شرقي (واسط) وغرب (ليلى) تبعد عنها (٣٤) كيلا (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ٤٨٥).

(٢) المراد بها المتسع من الأرض، وهذه بفرع (وادي أكمة) من منطقة الأفلاج، وكانت الباحة حاضرة جعدة، وهي واسط حاليًّا؛ حيث قامت على أنقاض الباحة في وادي أكمة. (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ١٢٩، ١٣٠، وانظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣٢، ٤٣٣.

(٣) الظاهرة من قرى الأفلاج القديمة بوادي الأحمر على جزع واديه من الشمال، مقابل ل(الفرعة) التي على جزعه من الجنوب. . وهي غامرة لم يبق إلا طلولها، وبعضها قام عليه بلدة الأحمر، وهي من بلدان جعدة وقشير، (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج٢، ص ١٢٣).

(٤) تسمى فرعة الأحمر من منطقة الأفلاج، وأصبحت الآن طللاً، وقيل إن جميع آبار (آل هذال) التي عليها نخيلهم الآن، وحلتهم قامت على أنقاض الفرعة القديمة، وهي جنوبي غربي الأحمر، ويؤكد ابن خميس بكونها مفترق طرق في تلك الناحية. (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٩).

(٥) هو وادٍ عظيم من أودية الأفلاج، وهو أكبر رافد من روافد وادي الأحمر، بل ربما سمي وادي الأحمر كله بوادي كرز؛ لأنه الأصل لروافد هذا الوادي كلها(انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج٢، ص٣٠٦).

(٦) ورد في كتاب بلاد العرب للأصفهاني ص٢٣١، ٢٣٢، "فإذا انحدرت من العارض مستقبلاً مغيب الشمس، وقعت في الدبيل، والدبيل رملة بمقابلة العارض، وفي العارض ثنايا، فمنها ثنية الهدار، وثنية أكمة. . " ويؤكد المحققان "الجاسر والعلي" على أن هذه =

ففي أصلها ماء يقال له النّبجة[١] من عن يمينك وأنت قاصد المغرب، ثم أسفل من ذلك في الجوف جوف الثنية ماء يقال له وحاة[٢]، ثم في بطانة العارض من عن يمينه ماءان متدانيان يقال لها: أوان[٣] والحيانيّة[٤] بين العارض وبين الدبيل، والدبيل[٥] رملة وعثة بظهرها مياه قد ذكرناها وفي

= الثنايا معروفة، وثنية أكمة تعرف بثنية الحمر(الأحمر)، وهي المقصودة عند الهمداني.

(١) من مياه ثنية الأحمر.

(٢) هناك بئر في (وجه العرض) من الغرب تسمى: الجويفاء، وقديمًا تسمى الوحاة (عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣٨).

(٣) أوان يدعى في هذا العهد ماوان قلبت همزته ميمًا، وهو قريب من الحيانية (سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٤٣٧)، وهو ماء لبني قشير بين العارض، ونفود الدحي، ويعتبر من مياه الساقية، ما بين جبل العارض ونفود الدحي، وآباره كثيرة، وماؤه ملح. (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ١٢٠).

(٤) ماء قديم مرّ، كثير الجم وفيره، معروف بهذا الاسم قديمًا وحديثًا، وكثيرًا ما يذكر مقرونًا بذكر ماءٍ قريب منه اسمه الهوّة، فيقال: الهوّة والحيانية، وهو من مياه البطن الواقع بين عارض الحمر، وبين رمل نفود الدحي (سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٤٣٧)، وهو من مناهل الساقية بين جبل طويق مما يلي أعالي الأفلاج. (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ٣٦٢).

(٥) رملة الدبيل يقصد بها نفود الدحي، (سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٤٣٧)، وهذا الرمل يقع جنوب اليمامة غربها مواجهًا لصفحة طويق (العارض) من الغرب، ويمتد حتى أسفل وادي الدواسر، ويبلغ طوله نحوًا من مائة كلم في عرض عشرة كلم في المتوسط(انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ٤٠٨).

وسطه مياه منها الحذيقة[١] وماءان آخران الرائغة[٢] وطرف[٣]، وبطرف مُويه آخر، ثم تقصد كأنك تريد مكة فقصد أمام وجهك ماء ملح يقال له: الضَّاحية[٤]. ثم على بطن طريق مكة، النَّضريَّة[٥] ماء عذب، ثم الأخرابة[٦]،

(١) ذكر ابن خميس في معجم اليمامة أن نفود الدحي –الدبيل– قديمً به مياه أثماد وذكر منها: المريصيص، والمليح، وسليلجان، والجفير، ورملان، ومغيطية، وعسيلان، ومريخة، والبتراء، وذكر بأن مياهه منها ما هو باق ومنها ما قد اندثر أو تغير اسمه. (انظر: عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص ٤٠٨)، وجاءت "الخذيقة" في كتاب بلاد العرب للأصفهاني ص ١٣٨" والخَذيْقَةُ سميت الخذيقةُ لأنها مِلْحةٌ في وسط حمضٍ، فإذا شرب منها المالُ سلحَ منها، وهي لخليطي بني أبي بكر" فربما وردت الخاء بدل الحاء بخطأ من الناسخ وهي لبني قشير وليس بني بكر.

(٢) من مياه الدحي –الدبيل– وقد وردت عن الأصفهاني في كتاب بلاد العرب ص ٢٣٣، "ومياههم بالدبيل شباك كثيرةٌ، منها: الجاذبة، ثم الخضرةُ ثم الصحبية والصبيغاء والقشيرة والرابغة" وحصل تحريف في حرف الباء حيث المقصود بها الهمزة (الرائغة) أو العكس بين الهمداني والأصفهاني، ولكنها محددة في الكتابين في رمل الدبيل.

(٣) من مياه الدحي –الدبيل–.

(٤) من المياه الواقعة غرب العرض وشرق "عماية" فيما بينهما، ولم أقع على تحديدهما، وربما يكونا من المواقع التي اندثرت أو تغير اسمها.

(٥) من المياه الواقعة غرب العرض وشرق "عماية" فيما بينهما، ولم أقع على تحديدهما، وربما يكونا من المواقع التي اندثرت أو تغير اسمها.

(٦) لا يعرف بين عمايتين ولا قريب منها أو على طريق حجاج الأفلاج الذي رسمه الهمداني موضع يدعى بهذا الاسم –الأخرابة– اليوم، مما يجعلنا أن نرجع للمعنى اللغوي لهذه الكلمة ففي لسان العرب يقول ابن منظور عن الخرب أو الأخراب: "كلُّ ثَقْبٍ مُستدِير: خُرْبةٌ مثل ثَقْبِ الأُذن، وجمعها خُرَبٌ؛ وقيل: هو الثَّقْبُ مُسْتديراً كان أَو غير ذلك. . . والثُّقْبَةُ هي =

= الخُرْبةُ. وقيل: الخُرْبةُ سَعةُ خَرْقِ الأُذن. "والخَرَبُ: مصدر الأَخْرَبِ، وهو الذي فيه شَقٌّ أَو ثَقْبٌ مُسْتَديرٌ. وخَرَبَ الشيءَ يَخْرُبُه خَرْباً: ثَقَبَه أَو شَقَّه. والخُرْبةُ: عُرْوةُ المزادةِ، وقيل: أُذُنها، والجمع خُرَبٌ وخُرُوبٌ، هذه عن أبي زيد، نادرة، وهي الأَخْرابُ والخُرَّابةُ كالخُرْبةِ"، قال أَبو عبيد: والذي نَعْرِفُ في الكلام أَنها الخُرْبةُ، وهي عُرْوةُ المزادةِ، سُميت خُرْبةً لاسْتِدارتها. وقال أَبو عبيدة: لِكلِّ مَزادةٍ خُرْبَتانِ وكُلْيَتان، ويقال خُرْبانِ، ويُخْرَزُ الخُرْبانِ إلى الكُلْيَتَيْنِ؛ ويروى قوله في الحديث: يُقَلِّدُها خُرابةً، بتخفيف الراءِ وتشديدها. قال أَبو عبيد: المعروف في كلام العرب. أَن عُرْوَة المزادةِ خُرْبةٌ، سُميت بذلك لاسْتِدارتها، وكلُ ثَقْبٍ مُسْتَديرٍ خُرْبةٌ. (انظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م١، ص ٣٤٧، ٣٤٨، مادة خرب).

إذًا المقصود اللغوي بالأخرابة: الخرق المتسع، وهذي الصفات تنطبق تمامًا على جبل (أم مخرق) الواقع بجوار هجرة القرارة، وهجرة المبرز، وهو ليس في أجواف "عماية"، وإنما فيما بينهما غربًا على طريق حجاج الأفلاج، ويعد معلمًا؛ لكونه أطول جبل في غرب الحصاتين.

فالأخرابة هي جبل أم مخرق وهو بجوار هجرة القرارة الواقعة غرب الحصاتين على طريق حجاج الأفلاج الأول، وهو جبل يتلألأ يمتد من الشمال للجنوب، شامخ الارتفاع، يتجاوز طوله أكثر من (٨٠٠ متر)، عرضه لا يتجاوز(٣٠٠متر) في طول (١كلم)، وبه أربع قمم اثنتان منها لا يستطيع تسلقها الإنسان، وتعلوها واحدة، وبين القمتين الوسطا ثقب (خرق) عندما تشرق الشمس يكون له ظل من جهة الصبح حتى قرابة منتصف النهار، ويرى الجميع الشمس مع الخرق، ومن بعد الزوال والظل يكون من جهة الشرق حتى المغرب، والقادم من بين عمايتين –الحصاتين– يرى الثقب من قرابة (١٠كلم)، وتقع القرية شرق الجبل، وينطلق طريقان أسفلت، الأول: من الحصاة الشمالية قرب طريف، والثاني: من الحصاة الجنوبية قرب دراويش، وتلتقي في ربع نجد قبل مدخل هجرة القرارة بـ(٢٠٠متر) تقريبًا ثم ينطلق طريق واحد من هجرة القرارة حافًا بجبل القرارة (أم مخرق) من الشمال، وهجرة المبرز عن شماله متجهًا غربًا حتى هجرة قيران ثم جاحد، ويقع عدُّ الماء في أسفل الخرق، ويستطيع الإنسان التسلق للخرق من الجهة الشرقية، أما الجهة الغربية فلا يستطيع –وقد تسلقت ورأيته– فهو =

وهي في أجواف "عماية" ثم تخرج في صحراء حمِّة بعد أن قطعت "عماية" اليسرى[١] واليمنى[٢] عن يمينك وقطعت فجوات[٣] قُصَيْبات سود متقابلات[٤] وفي العمايات مياه منها الشكول[٥] وطريف[٦] وأحساء

= بسعة العرض قرابة (٤ أمتار) والارتفاع أيضًا قرابة (٤ أمتار)، وفيه من الأعلى صدع كانت تطل عليَّ منه أفراخ حمام (الولع)، ويملكه خاصة محمد (جنبان) بن وافي الغربي في هذا العهد، وأنشأ والدي وشقيقه به هجرة أسموها القرارة، وبها مدارس ابتدائية ومتوسطة ومركز صحي، وخدمة الإسفلت والاتصالات الهاتفية وخدمات أخرى، كما تقع هجرة المبرز شمالاً عن الجبل، وهي امتدادًا لهجرة القرارة.

(١) "عماية" اليسرى هي الحصاة الجنوبية.

(٢) "عماية" اليمنى هي الحصاة الشمالية.

(٣) هو هضب أحمر، فيه ماءٌ يقع غرب الحصاة الجنوبية –"عماية" العليا قديمًا– وقديمًا كان في بلاد الحريش، ويذكرها البعض بلفظ الجمع فيقولون فحوات، وهي ثلاث هضبات متقاربة.

(٤) يعلق على ذلك "ابن جنيدل" بقوله: التحديد الذي ذكره يتفق مع تحديد فحوة (فحوات). . . أما وصفها بأنها سود، وهذا قد يكون خطأ في النقل أو تحريفًا من جراءِ تداول النساخ، ومثله يقع كثيرًا في كتب المواضع القديمة، كما أنه يبدو لي أن كلمة قصَيبات صمتها هضيبات جمع تصغير هضبة.

(٥) من المياه الواقعة في "عماية" فيما بينها ولم أقع على تحديدها، وربما هي من المواقع التي اندثرت أو تغير اسمها.

(٦) طريف: ماءٌ قديم، يقع في غرب –الحصاة الشمالية– "عماية" السفلى داخل شعب في الهضبة، يفيض غربًا، وفي مدخل الوادي إلى هذا الماء عقبة لا تجوزها السيارة والماء في متسع فسيح من الوادي، وقد تأسست فيه هجرة حديثة، فيها نخل وزرع ومساكن، لآل معلا الخنافر من قبيلة قحطان جماعة ابن صويلحة، (انظر: سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٢، ص ٨٨٠)، وهي خاصة لقبيلة آل صويلحة آل الغربي، وبها مدارس ومرافق حكومية، يقول أبو مُدْرِك مُريزيق اللبيْنيِّ القشيري: =

الثمام[١]، ثم ترد الأحساء أحساء مرتفق[٢]ثم تدخل في أعراف[٣] لبنى حيال

= فما شَرْبَةٌ من ذي طَريف شِربْتُها قَـضَى الله فيها أنها لم تَدعْ لُبّا
بأوَّلِ مـا يُسـقـــيني الله مَشْربًا على سَخَطِ الأعداء مُقترحًا عَذْبَا

وبنو قشير يقطنون في "عماية" و"طريف" ولا يزال بهذا الاسم، وهو مورد قديم عرف بعذوبة مائه، (انظر: هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات، مرجع سابق، ص ٣٠٧، ١٥١٨).

(١) من المياه الواقعة في "عماية" فيما بينهما ولم أقع على تحديدها، وربما هي من المواقع التي اندثرت أو تغير اسمها.

(٢) يقول "ابن بليهد" في كتابه "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" ج٢، ص٨٩: "مريفق: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو ماء عذب، بل هو أعذب المياه التي جهته، في شمالي الزيدي مما يلي الصخة، وعليه شجرة أراك عظيمة، معروفة بحسن المساويك، وقد وردت ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة" وهي المقصودة؛ لأنها في الطريق، ويقول "ابن جنيدل" في معجم عالية نجد، ق٢، ص ٨٦٥، عند حديثه عن ضريبة الزيدي: "تقع في طرف جبل الزيدي الغربي الجنوبي، وفيها ماءٌ عذب يقال له مُرَيفق"، وهي المقصودة عند الهمداني؛ لكونها على امتداد الطريق، وقد قال بذلك قبلهم الأصفهاني في بلاد العرب ص ١٣٧، "ثم فوق جوء مُريفق، وهو ماءٌ يسمى الحليف" ويذكرها بعد حديثه عن نملى، ولعلها المقصودة عند ابن جنيدل.

(٣) العرف قديمًا هو: العريف حديثًا، وهي منطقةً واسعةً، تقع في نجد يحدها من الشرق الحصاتان، ومن الغرب الأذقانان، ومن الشمال وادي السره (اليتاما) ومن الجنوب وادي الركاء، ويقع بها عدد من الآبار المعروفة التي يردها الناس من قديم الزمان، كما أصبح بعضها قرى وهجر الآن، ومنها القرارة التي بها جبل "أم مخرق" الأخرابة قديمًا وفيها القليب المعروفة، والفرع، وكذلك منها المبرز، والباحة، والسبيل، وثعبان، وقيران، وبحيران، والعرقوبي، والقرينة، والقفياني، ومروحة، والقبعة، وأمرخ، ومطربة، وغيرها (انظر: حمد فهد جنبان القحطاني، مواطن التعريف في منطقة العريف، مرجع سابق، ص ٩٣)، وتحف به من الجنوب بلاد الحريش قديمًا، ومن الغرب بلاد أبي بكر بن =

ضلعان بها ماء يقال له العسير[١] ثم المحدث[٢] محدث نملى[٣][٤]".

وقد رسم الهمداني طريق حجاج الأفلاج الأيمن رسمًا دقيقًا، فكانت الأماكن التي ذكرها على طريقٍ واحد في اتجاه الغرب، ورسمه ذلك كان دقيقًا في التأكيد على أن "عماية" هي الحصاة الآن، فقد توالت جميع الصفات التي تنطبق عليها قديمًا في الوقت الحالي من ذكر الحصاة العليا، والسفلى، والدنيا، والقصوى، وهكذا.

= كلاب. وتدخل ضمن بلاد أبي بكر بن كلاب، ويحف به واديان شهيران هما: وادي الركا يحف به من الجنوب، ووادي السّرة يحفّ به من الشمال. ولم يذكر بهذا الاسم، بصيغة التصغير، وقد ذكر العرف مكبراً، (انظر: نقل بتصرف من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، ق٣، ص ٩٤٤، ٩٤٥).

(١) ربما هي من المواقع التي اندثرت أو تغير اسمها، ولكن متوقع أنها تقع في العريف غرب الحصاتين.

(٢) المحدث: هو منهل عدّ مر، يقع في رغبا (نملى) وسيله يفيض شرقًا جنوبًا ماء يدعى الرديفة رديفة المحدث، ويطلق عليه الآن (مُلَهِّيَة)، والبعض يقول (مُلَهيات)، (سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٣، ص ١١٥٢).

(٣) نملى هي "رغبا" وهي بلاد واسعة، جبال سود متصلة بعضها ببعض، فيها شعاب ومسالك ومياه، وفيها برق وأرض دكاك، وجبالها غير عالية، تقع غربًا من العلم، وكانت قديمًا تدعى نملى(سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٢، ص ٦٠٩)، وفي كتاب "المغانم المطابة في معالم طابة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت: ٨١٧)، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص٤١٨، ذكر "نملى" ومواردها في قوله: "وفي نملى مياه كثيرة بأسماء مختلفة منها: الخنجرة، والشبكة، والجفر، والودكاء، وتُنَيْضِبَة، والأبارق، والمحدَث، ومطلوب"، وقد قال بذلك قبله الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص ١٢٩، ١٣٠، وقال الأصفهاني ص ١٤٣"ومن نملى يرغبا" وهي ما تعرف باسم رغبا الآن.

(٤) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

الحصاء "عماية"

جبل "عماية" هو الأصل في مسمى الجبلين بعمايتين، الذي هو مشتق من اسمها، وكان جبل "الحصاء" قديمًا، يطلق على جزء منها، وقد يكون هو جبل "المزراقة" الذي يقع منفصلًا عن جبل "عماية" الشمالية من الجهة الشمالية، وبينه وبين "عماية" أرض فضاء مرتفعة تسمى "رِيعْ المِزْرَاقَة"، ومع الزمن تعمم اسم "الحصاء" على جبل "عمايتين"، فأطلق عليها جميعًا "الحصاء"، واندثر اسم "عماية"، ثم مع الزمن تحولت الهمزة إلى تاء مربوطة، فأطلق عليها الحصاة.

وكان هذا الحكم بناءً على عدة شواهد من أهمها:

١ – قول شاعر من العرب:

إذا كنتَ في الحصَّاء أو في بجادَةٍ نَظَرْتَ حُدوجَ الحي في سفح يذبل[١]

فالبجادة تقع شرقًا شمالاً من المزراقة، وماتزال باسمها حتى اليوم، ويذبل[٢] يقع غربًا للشمال قليلاً عن المزراقة، ويسمى في الوقت الحالي

(١) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٢٤، حدوج الحي: مفردها الحدْج بمعنى مركب من مراكب النساء كالهودج.

(٢) يذبل: جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم، وموقعه في عالية نجد الجنوبية، وقد تغير اسم هذا الجبل، ولم يعد يذكر بهذا الاسم، ويسمى اليوم "صَبْحَا" وهو واقع بين "الحصاة" وعرض ابنى شمام؛ وصبحا: جبل أحمر رفيع، وتسميته "صبحا" تسمية حديثة، حدث عند توغُّل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبرية، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى "يذبل"، وهو جبل أحمر أصبح المنظر، فكان فارسهم عند الطعان يقول: خيال صبحا جبلي، ويُطْلِق هذا الاسم على يذبل، وتكرر ذلك حتى نُسِي اسمه =

صَبْحَا، فالشاعر يقول: إذا كنت في المزراقة –أو حتى لو كنت في بجادة، التي تقع أبعد مسافة عن يذبل– لنظرت حدوج الحي في سفح جبل "يذبل" –صبحا–حديثًا، وعندما تقف في هذا المكان تبدو الصور التي جاءت في هذا البيت الشعري كأنها حقيقةً ماثلةً، فقد تنظر إلى سفح "يذبل"، وأنت بالمزراقة وأيضًا تنظر إلى سفح يذبل "صبحا"، وأنت في البجادة التي تقع في مكان أبعد من المزراقة هذا أولاً، وثانيًا: لا يوجد في وصف هذا المكان من خلال قول الشاعر غير جبل المزراقة.

٢– لا يوجد –في هذا المكان– جبل أحص، أي: لا ينبت فيه شيء؛ لكونه أحمر صلبًا ليس فيه منبت، غير جبل المزراقة. ومن ذلك قول ياقوت: "الحَصّاءُ: بالفتح ثم التشديد، ورجلٌ أحصُّ، وامرأة حصاءُ: للذي لا شعر في رؤوسهما، وكذلك أرض حصاءُ: لا نبات فيها"[(١)].

٣– كونها لبني أبي بكر بن كلاب، ويدلنا على ذلك قول "السكري: الحصاءُ لبني عبد الله بن أبي بكر، وقال أبو محمد الأسوَد: الحصاءُ جبال مطرحة يرى بعضها من بعض، وهي لبعض بني أبي بكر بن كلاب"[(٢)]. وقال أبو زياد: ومن مياه أبي بكر الحصاءُ، وهي من خير مياههم، وأكثرها أهلاً وأوسعها ساحة[(٣)]، وفيها يقول "مَعقِل بن رَيحَان":

= الأول، وصار اسمه صبحا. (انظر: محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٢٤).

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٢، ص ٢٦٢.

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٢، ص ٢٦٢.

(٣) المرجع سابق، م٢، ص ٢٦٢.

جَلَبْنَا من الحَصَّاءِ كلَّ طِمِرَّةٍ مُشَذَّبة فَرْجاء كالجذع جيدُها[١]

وهي التي ذكرها أخو عطاء حين رثى أخاه، وهو مولى لبني بكر بن كلاب:

لَعَمْرُكَ إني إذ عطاءٌ مُجَاوري لزارٍ على دُنْيا مقيمٍ نعيمُها
إذا ما المنايا قاسمت بابن مسحل أَخًا واحدًا لم يُعط نصفًا قسيمُها
وراح بلا شيء، وراحت بقسمه إلى قسمها لا قت قسيمًا يضيمُها
أتته على الحصاءِ تهوى، وأمسكت مصارعَ حُمّى تصرَعنهُ ومُومُها
فيا حبذا الحصاءُ والبرقُ والعلا وريحٌ أتانا من هناك نسيمُها[٢]

٤– يقول "محمد بن بليهد" بأن "الحصاء" سابقًا هي "الحصاة" الآن، مستشهدًا بقول الشاعر:

إذا كنتَ في الحصَّاء أو في بجادَةٍ نظرتَ حُدوجَ الحي في سفح يذبل[٣]

"والحصاء: هي المعروفة اليوم بالحصاة، والبجادة: جبل صغير منقطع من الحصاة، وإذا كنت في الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مسافة قريبة"[٤]، وفي حديث "ابن بليهد" عن "مأسل" الواقع في "الحصاة" يقول:

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٢، ص ٢٦٢، وانظر: محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ١٩، طمرة: هي أنثى الفرس الجواد الشديد العدو، ويستعار للأتان، أي الحمار الوحشي.

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٢، ص ٢٦٢.

(٣) محمد بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٢٤.

(٤) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع =

"واسمها في الجاهلية: الحصاء؛ لأن جبالها خالية من النبات والشجر؛ فسميت الحصاء لذلك، فإن كل شيء خالٍ من النبات يقال له: أحَصَّ، وهي في ديار بكر بن كلاب"(١).

٥- ويؤكد على ذلك "عبد الله بن خميس" في حديثه عن وادي السرة بقوله: "والقاسم بين وادي السرة ووادي الركاء جبلُ الحصاة المشهور في الجاهلية بالحصاء"(٢).

٦- كانت الحصاة تعرف بالحصاتين، والمقصود بها ما دار حول الجبلين من قرى ومنازل ومواضع، وفي الآونة الأخيرة تعمم اسم الحصاة على ما يتبعها إداريًّا، فأصبحت تشمل الآن مواضع وأماكن ليست قريبة وخارج نطاق الجبلين، حيث شملت قرى العريف من "القرارة" إلى "جاحد" غربًا الذي يبعد قرابة (٧٠ كلم) عن نفس الجبل، ومن الشرق شملت قرى الصاخن وحتى "كتنة"، ومن الشمال تجاوزت وادي السرة، وشملت قرى التيس وما حولها، ومن الجنوب تجاوزت وادي الركاء وشملت أرمض قحطان.

قال الأصفهاني: "البجادة والكهْفة والحصَّا، لكعب بن عبد الله، وهي مياه متح في فلاة من الأرض"(٣).

= سابق، ج١، ص ٢٤.

(١) المرجع سابق، ج١، ص ١٩.

(٢) عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص١٤٣.

(٣) الحسن الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩.

قال أبو زياد: "يخرج عامل بني كلاب من المدينة، فأول منزل يصدق عليها الأريكة، ثم العناق، ثم مدعا، ثم المصلوق، ثم الرّنئة، ثم يرد الحليف لبني أبي بكر بن كلاب، ثم الدخول، ثم الحصاء، ثم يرد الحوأب، ثم سجى، ثم الجديلة. ثم ينصرف إلى المدينة، ويصدق على الحُليف بطونًا من بطون أبي بكر بن عبد الله بن كلاب وسلول وعمر بن كلاب"(١).

ويحدد "ابن جنيدل" الحصًا التي ذكرها "الأصفهاني" بأنها في الغرب الشمالي من صحراء المضجع، وتسمى اليوم الحصيات واحدتها حصية، مستدلًا بما ذكره "ياقوت الحموي" وأن ما قاله في وصف الحصاء، وتحديدها ينطبق تمام الانطباق على الحصيات، وصفًا، وتحديدًا(٢).

وربما نكتفي بقول "محمد بن بليهد" عن "الحصيات" التي يقصدها "ابن جنيدل"، وأنها كانت تسمى "القطيبات" بقوله: "القطيبات: ذكر أهل اللغة وأصحاب المعاجم أن القطيبات، في جبل سواج أو قريب منه، وأنا لا أعرف فيها بهذا الاسم في هذا العهد، ولكني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضيبات حمر يقال لها "الحصيات"(٣)، وبهذا الوصف كيف يرى الذي بالهضب، ويبعد مسافة لا تقل عن خمسة أيام سفح يذبل؟ وأين

---

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مرجع سابق، م٢، ص ٢٩٥، وينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ١١٨.

(٢) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٣٧٩.

(٣) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٧.

البجادة عن هذا المكان أيضًا؟ بالإضافة إلى تعليقه على قول الهمداني في الحديث عن البجادة " والعطائية ماء في بطن السرَّة والبجادة واليتيمة مقابلتان لزابن "عماية"[١]، بقوله: "والواقع أن هضبة البجادة مقابلة لـ"عماية" من الجانب الشرقي الشمالي لـ"عماية"[٢] وفي تعليقه أيضًا على قول الأصفهاني: "وجبل يقال له بجادة، في ناحية العمق لبني قشير"[٣] بقوله: في ناحية العمق خطأ، فهو في ناحية السرة، وإنما الذي في ناحية العمق قساس(جبل دساس حاليًّا)، أما الينكير فإنه يقابل البجادة من الشرق يفصل بينهما بطن السرة، وكل هذه الجبال أعلام شهيرة واقعة في بلاد بني قشير قديمًا، وبعضها قريب من بعض[٤]، وهنا تأكيد على أن الحصاء ليست إلا حصاء "عماية"، وليس لها مشابه، وذلك لعدم الشك بوجود البجادة الواقعة بين "عماية" ووادي السرة والقريبة من يذبل (صبحا الآن)، وقد ذكر الأصفهاني رمل السرة باسم اليتيمة، وهو ما يسمى الآن وادي اليتاما الذي يطلق على وادي السرة، ونفود السرة، فيقول: "ولهم رَمْلةٌ يقال لها: رملة اليتيمة"[٥]، يقصد بني أبي بكر.

(١) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤١٠هـ، ص ٢٦١.

(٢) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ١٩٨.

(٣) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٤) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ١٩٨.

(٥) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص ١١٤.

"عماية" قديماً . الحصاة حديثاً:

يقول حمد الجاسر في هامش تحقيق كتاب الأماكن للحازمي: "أما عمايتان فيعرفان باسم (الحصاتين) الجبلين المشهورين في جنوب نجد"[(١)]. وجبلا "عماية" يعرفان الآن باسم (الحصاتين) مُثَّنى حصاة؛ حصاة آل حويل، وحصاة آل عليان، جبلان كبيران متجاوران منسوبان إلى سكانهما من قبيلة قحطان (مذحج قديمًا)، ويقعان في جنوب نجد غرب بلاد الأفلاج[(٢)]، ويقال لهما معًا: "حُصِيّ قحطان"، و"الحصاتين"، و"الحصي"[(٣)].

والحصاتان كانتا قديمًا تسميان عمايتين، ويستدل على أنهما عمايتان بما ورد في كتب المعاجم القديمة وفي الشعر العربي من تحديدهما ووصفهما، وذلك ينطبق تمام الانطباق على موقع "الحصاتين" ووصفهما[(٤)].

ويؤكد "ابن جنيدل" على ذلك بأن الهمداني "ذكر الحصاتين باسم عمايتين، وذكر أنهما على طريق الحجاج من الأفلاج، والواقع أن حجاج الأفلاج يمرون بهما إذا تيامنوا، ويمرون بمياه السوادة إذا تياسروا، وقد ذكر الهمداني كلا الطريقين"[(٥)].

---

(١) محمد موسى الحازمي(٥٤٨/ ٥٨٤هـ)، الأماكن أو "ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة" تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ، جج١، ص ٣٢٩.

(٢) في هامش كتاب "الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة" السابق، ج١، ص ٦٩٧.

(٣) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٣، ص ٩٨٤.

(٤) المرجع سابق، ق١، ص ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢.

(٥) المرجع سابق، ق١، ص ٣٨٤.

الحصاة

الحَصَاة: بحاءٍ وصاد مهملتين مفتوحتين، ثم ألف بعدها هاءٌ، على وزن الحصاة، واحدة الحصاء، ويقال تارة: الحُصِيّ، جمع حصاة، وقد يقال "الحصاتين": مثنى حصاة، فهي تذكر بكل هذه الصيغ، وللتمييز تذكر مضافة، فيقال: حصاة قحطان أو حصيّ قحطان، وعندما يراد التمييز بينهما يقال: حصاة آل حويل أو حصاة آل عليان، الحصاة العليا[1]، والحصاة السفلى، والحصاة الدنيا والحصاة القصوى، والتفرقة بين الحصاتين في هذه المسميات متعارف بها عند أهل المنطقة خاصة.

والحصاتان جبلان كبيران أحمران يميل لونهما إلى البني، متجاوران، أحدهما شمالي، والآخر جنوبي، ويقال له الحصاة العليا، والحصاتان، ليست على شبه سلاسل جبلية لها طول متجه، مثل ثهلان أو ذقان وغيرهما، ولكنهما قنن ومتون متصل بعضها ببعض بشكل واسع، فيها أودية ومياه، ومسالكها وعرة، وفي بطن كل منهما أودية ذات بطون واسعة لا يوصل إليها إلاَّ من طريق ضيقة، وقد يقف في مداخل بعضها رصفات طبيعية تعمي الطريق على من لم يعرفه، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يغطي سفوح هذه الجبال وبطون أوديتها غطاء كثيف من غابات الشجر البري، كالطلح والسلم وغيرهما، وهما واقعتان في أيمن وادي السرة، ويحف بهما من الجنوب الغربي وادي الركاء، وهضبة صبحا –يذبل قديمًا– تقع منهما في الشمال الغربي، ويفصل بينها وبينهما بطن وادي السرة[2].

(١) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٣٧٧.

(٢) المرجع سابق، ق١، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

ومن الملاحظ أن كثيرًا من مياه هذه الجبال المنعزلة في بطن الصحراء –بعيدًا عن مركز التحضر والعمران– قد تحولت إلى هجر ومواطن استقرار، ووصلت إليها وسائل التطور الاجتماعي والعمراني والخدمات الاجتماعية(١)، ففيها أكثر من (٣٠٠)هجرة، و(١٠) مراكز، وبها مركز شرطة، وبلدية، ومكتب للأوقاف والمساجد، ومكتب للدعوة والإرشادِ وتوعيةِ الجاليات. وغيرها، ويمر بها من الشرق طريق الرياض الرين بيشة الجديد.

أما إداريًّا فمسمى (الحصاة القصوى) يرأس مركزها "ابن جلبان آل عليان"، ومسمى (الحصاة) يشمل جميع الحصي ويرأس مركزها "ابن حويل"، وهي تشتمل على كثير من قبائل قحطان، منهم: (الخنافر، والسحمة، وآل عاطف، وآل سعد، وآل روق، وآل عليان، وغيرهم).

(١) سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق١، ص ٣٧٨.

المبحث الثاني: حضور "عماية" في الإبداع الأدبي

يشتمل هذا المبحث على "عماية" الحماية، الجبل الذي يلجأ إليه الجناة ويتحصنون فيه، وذكر ذلك في قصائدهم مما جعل هذه الأشعار شاهدًا على تلك القصص، ونتناول أيضًا ذكر "عماية" في قصائد دالة على أحداث قصصية ليس لها علاقة بـ"عماية"، ولكن الشعراء تمثلوا بها أو رمزوا لها في شعرهم.

"عماية" في قصص الجناة:

من خلال عرض التمهيد تناولنا علاقة الاسم بالجبل، ولعل القصص الواردة في كتب التراث والمدعومة بالأبيات الشعرية، تؤكد صحة علاقة اسم "عماية" بهذين الجبلين، اللذين لجأ إليهما عدد من الجناة ودخلوا في كنفهما، ومن أشهر هؤلاء الجناة.

-١- القَتَّال الكلابيّ

كان قتال ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، يتحدث إلى ابنة عمّ له يقال لها: العالية بنت عبيد الله، –وكان لها أخ غائب يقال له: زياد بن عبيد الله– فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته، فنهاه وحلف: لئن رآه ثانية ليقتلنه. فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها، فأخذ السيف، وبصر به القتّال، فخرج هاربًا، وخرج زياد في إثره، فلما دنا منه ناشده القتّال بالله والرحم، فلم يلتفت إليه، فبينا هو يسعى –وقد كاد يلحقه– وجد رمحًا مركوزًا

– وقال السكري: وجد سيفًا – فأخذه، وعطف على زياد، فقتله[١]، وقال:

نَهَيتُ زيادًا والمَقامةُ بيننا وذكّرتهُ أرحامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ
فلمَّا رَأيتُ أَنَّه غيرُ مُنتهٍ أَمَلْتُ له كفِّي بلَدْنٍ مُقَوَّمِ
ولمَّا رأَيتُ أَنَّني قد قَتَلْتُه نَدِمْتُ عليه أَيَّ ساعةِ مَندمِ[٢]

وقال أيضًا:

نَهيتُ زيادًا والمَقامةُ بيننا وذكرتُه باللهِ حَوْلاً مُجَرَّما
فلمَّا رأَيتُ أَنَّهُ غيرُ مُنْتَهٍ ومولايَ لا يَزْدادُ إلا تقدُّما
أَمَلْتُ له كفِّي بأَبيض صارمٍ حُسامٍ إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما
بكفِّ امرئٍ لم تَخْدُمِ الحيَّ أُمُّه أَخي نجداتٍ لم يكنْ مُتَهضَّما[٣]

"ثم خرج هاربًا، وأصحاب القتيل يطلبونه، فمر بابنة عم له تدعى: زينب، متنحية عن الماء، فدخل عليها، فقالت له: ويحك! ما دهاك؟ قال: ألقي علي ثيابك، فألقت عليه ثيابها، وألبسته برقعها، وكانت تمس حناء، فأخذ الحناء فلطخ بها يديه وتنحت عنه، ومر الطلب به، فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنون أنه زينب: أين الخبيث؟ فقال لهم: أخذ هاهنا، لغير الوجه الذي أراد أن يأخذه. فلما عرف أن قد بعدوا أخذ في وجهٍ آخر، فلحق

(١) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ، م٢٤، ص ٩١، ٩٢.
(٢) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٢.
(٣) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٢.

بـ"عماية"، و"عماية" جبل، فاستتر فيه"[1]، وقال في ذلك:

فمـنْ مُبْلِـغٌ فتْيـانَ قـوميَ أَنَّنـي تسـمَّيْتُ لمّـا شـبَّت الحَـرْبُ زَيْنَبـا
وأَرخيتُ جِلْبابي على نبْت لِحْيتي وأَبـديتُ للنَّاسِ البَنـانَ المخضَّبـا[2]

وقال فيها:

جَـزى اللَـهُ عَنّـا وَالجَـزاءُ بِكَفِّـهِ "عمايـــة" خَيـــراً أُمَّ كُـــلِّ طَرِيـــدِ
فَما يَزدَهِيها القَومُ إِنْ نَزَلوا بِها وَإِن أَرسَـــلَ السُّـــلطانُ كُـــلَّ بَريـــدِ
حَمَتْنـيَ مِنهـا كُـلُّ عَنقـاءَ عَيْطَـلٍ وَكُـلُّ صَـفًا جَـمٍّ القِـلاتِ كَـؤودِ[3]

فمكث بـ"عماية" زمانًا يأتيه أخ له بما يحتاج إليه، وألفه نمر في الجبل كان يأوي معه في شعب[4].

يقول الهجري: "أنشدني: شيخ بضرَّية غَنوِيٌّ، لِعُبادَةَ بن مُجيبٍ بن المضرحي بن عَامِر بن الهِضّانِ بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب. وهو القتال[5] المُعْتَنِزُ بـ"عماية". أي المُخْتَبِئ":

(١) المرجع السابق، م٢٤، ص ٩٢.

(٢) المرجع السابق، م٢٤، ص ٩٢.

(٣) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣، وينظر: اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، صنعة: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ج٢، ص ٦٥.

(٤) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣.

(٥) القتال الكلابي اسمه عبد الله بن المجيب بن المضرحي، يكنى أبا المسيب، وقيل اسمه عبادة، وقيل عتبة، بطل فاتك جنى جناية فخافها، فأقام في "عماية" -وهو جبل- عشر سنين يأكل من صيده، وألفه نمر هناك فكان رفيقه، انظر: ابن حمدون محمد بن =

وأرسَـــلَ مـــروانٌ إلـــيّ رِسَـــالَةً لآتِيَـــــهُ أنّـــــي إذاً لمُضَـــــلَّلُ
وَمَـا بـي عِصْـيانٌ ولا بُعْـدُ مَزْحَـلٍ ولكِنّني عَـن سِـجْنِ مَـرْوَانَ أرْحَـلُ
وفـي صَـاحَةِ العَنْقَـاءِ أو فـي "عمايـة" أو الأُدَمَى مِنْ رَهْبَةِ المَوْتِ مَؤْيلُ
وَلِي صَاحِبٌ في الغَارِ هَدَّكَ صَاحِبٌ أَبُـو الجَـوْنِ إلاَّ أَنّـهُ لَـمْ يُعَلَّـلُ
إذَا مَـا الْتَقَيْنَـا كَـانَ أُنْـسَ حَـدِيْثِنَا صُـمَاتٌ وَطَرْفٌ كَالمَعَابِلِ أَطْحَلُ
كِلانَـا عَـدُوٌّ لَـوْ يَـرَى فِـي عَـدُوِّهِ مِهَـزًّا وُكُـلٌّ بِالعَـدَاوَةِ مُجْمِـلُ
تَضَـمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَـا بِشِـوَائِنَا كِلاَنَـا لَـهُ مِنْهَـا سَـدِيفٌ مُرَعْبَـلُ
وَمَشْـرَبُنَا قَلْـتٌ بِـأَرْضٍ مَضَـلَّةٍ شَـرِيعَتُهَا لأيّنَـا جَـاءَ أَوَّلُ
فَأَغْلِبُـهُ فِـي صَـنْعَةِ الـزَّادِ أَنَّنِـي أُمِيْطُ الأَذَى عَنْـهُ وَمَا أنْ يُهلِّلُ[1]

و"كان القتال الكلابي أصاب دمًا، فطلب به، فهرب إلى جبل يقال له "عماية"، فأقام في شعب من شعابه، وكان يأوي إلى ذلك الشعب نمرٌ، فراح إليه كعادته، فلما رأى القتال كشر عن أنيابه، ودلع لسانه، فجرد القتال سيفه من جفنه، فردَّ النمر لسانه، فشال القتال سيفه، فربض بإزائه، وأخرج براثنه، فسلَّ القتال سهامه من كنانته، فضرب بيده وزأر، فأوتر القتّال قوسه، وأنبض وترها، فسكن النمر وألفه"[2].

وقال ابن الكلبي في هذا الخبر، ووافقه عمر بن شبة في روايته: كان

= الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦م، م٢، ص٤٨٧.

(١) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ١٥٣٨.

(٢) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣.

النمر يصطاد الأروى، فيجئ بما يصطاده، فيلقيه بين يدي القتال، فيأخذ منه ما يقوته، ويلقي الباقي للنمر فيأكله، وكان القتال يخرج إلى الوحش فيرمي بنبله، فيصيب منه الشيء بعد الشيء، فيأتي به الكهف، فيأخذ لقوته بعضه، ويلقي الباقي للنمر. وكان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب، ثم يتنحى القتال عنه، ويرد النمر، فيقوم عليه القتال حتى يشرب، فقال القتال في ذلك[1]:

وَلِـي صَـاحِبٌ فـي الغَـارِ يعْـدِلُ أَبـا الجَـوْن إلاَّ أَنّـهُ لَا يُعَلَّـلُ[2]
صَـــــــــــــــــــاحِبًا

أبو الجون: صديق كان يأنس به، فشبهه به. وفي رواية عمر بن شبة: أخي الجون، فإن القتال كان له أخ اسمه الجون، فشبهه به، ويقول أيضًا:

كِلانَا عَـدُوٌّ لَا يَـرَى فِي عَـدُوِّهِ مهَـــزًّا وَكُـــلٌّ بِالعَـــدَاوَةِ مُجْمِـــلُ
إذَا مَا الْتَقَيْنَا كَانَ أُنْسُ حَدِيْثِنَا صِـــمَاتًا وَطَـرْفٌ كَالمَعَابِـلِ أَطْحَـلُ
لنـا مَـوْرِدٌ قَلْـتٌ بـأَرْضٍ مَضَـلَّةٍ شَـــــرِيعَتُنا: لأيِّنـــــا جـــــاءَ أَوَّلُ
تَضَـــمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَـــا بِشِـــوَائِنَا كِلاَنَـــا لَـــهُ مِنْهَـــا سَـــدِيفٌ مُخـــرْدَلُ
فَأَغْلِبُـهُ فِـي صَـنْعَةِ الـزَّادِ أَنَّنِـي أُمِـيْطُ الأَذَى عَنْـهُ وَمَـا أنْ يُهلِّـلُ[3]

وقد تكون هذه جناية له غير الأولى حيث لقب "القتال" لكثرة

(١) المرجع السابق، م٢٤، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، م٢٤، ص ٩٣.

(٣) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٤.

قتله[١].

-٢- قَعْنَبٌ القُشَيْرِيُّ

يقول أبو علي: أنشدني لَقعْنبٍ أحد بني حُبيبٍ –يقولها لعُبيد الله المعروف بالطريد واعتقل بـ"عماية"[٢] بعد القتال الكلاّبي، وقتل قَعْنبٌ أخا عُبيدَ الله واسمُهُ رَبيعة–[٣]:

تَمَنَّـى عُبَيْـدُ اللهِ قَتْلِـي وَلَيْتَـهُ مَنَـى لِعُبَيْـدِ اللهِ مَـانٍ لِقَائِيَـا

فَحَاحِ بِمَعْزَى الوَائِلِيَّـةِ وَاحْتَلِـبْ مَكَـانَ تَمَنَّيْـكَ الرَّجَـالَ الـدَّوَاهِيَا[٤]

أُمُّهُ من حنيفَةَ حَاحَا بالمعزى والغنم كُلِّها حَيّ حَيِّ – مجرورة بالياء –

(١) فقد قال في وصفه لقتل "ابن هبار":

تركتُ ابنَ هبَّار لدى البابِ مُسنّداً وأصبح دُوني شابّةٌ وأرومُها

بسيف امرِئ لا أُخبرُ الناسَ باسمِهِ ولو أجهشَتْ نفسي إليَّ هُمُومُها

وقال في قتله سجان "مروان بن الحكم":

فقُلتُ له والسَّيفُ يَعْضِب رأْسَهُ أنا ابنُ أبي التَّيماء غيرُ المنحَّلِ

عرفتُ نِدايَ من نِداهُ وشيمتي وريحاً تَغشَّاني إذا اشتَدَّ مِسْحَلي

تركتُ عِتاقَ الطَّيْرِ تحجِلُ حَوْلَهُ على عُدَواءَ كالحُوارِ المجدَّلِ

ينظر: أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، ج٢٤، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) قال أبو علي: "عماية" جَبَلٌ، ضَخْمٌ أعظَم جبال النّجدِ أعظَم من ثَهلاَنَ ومن قَطْنَيْنَ، وَ"عماية" برمْل السُّرة بين سَواد باهلة وبَيشة، انظر: هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ٧٩٢.

(٣) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ٧٩٢.

(٤) السابق، ص ٧٩٢.

فلم يزل عُبيدُ الله هذا، وهو من بني المُشَنِّج، وجمعُها من بني لُبَيْنَى، حتى قتلهُ، ثم طارَ فَقَفَز في "عماية"[1]، وقال:

أَبْلِغْ رَبِيْعَةَ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ ... أَنِّي ثَأَرْتُ عِظَامُهُ من قَعْنَبِ

أَنَّي دَبَبْتُ لَهُ بِنَعْفِ عُرَيقَةٍ ... بَعْدَ الدِّيَاتِ بِذِي حُسَامٍ مُقْضَبِ[2]

-٣- أوفى بن مطر

خرج "أوفى بن مطر" و"جابر الرُّزَمِيَّان"، و"شهاب الخزاعى" يتأَوَّبون، فلقوا أعداءهُم من بني أسدٍ، فشغل كلُّ واحدٍ منهم قرنه، فأجلت المَعركة عن "أوفى" جريحاً فقال "أوفى" لـ"جابرٍ": أقم عليَّ حتى تنظر إلى ما يصير إليه أمري، قال: أنت ميِّتٌ لا محالةَ، وليس لك درك أن تقتلني بنو أسدٍ، قال: فإنِّي أزحف حتى نلحق بـ"عماية" فنشرب من مائها ونأكل من خُضَرِها، فقال جابرٌ: والله ما ترك بنو أسد بـ"عماية" إلا أرضًا فضاء، قال: "أوفى" نلحق "بقساس" فقال: والله ما قساس عند بني أسد إلا حرملة، وأنت ميتٌ لا محالة، فألحق فأحرز نَفسي قال: فتركَهُ ولحقَ بقومه فسألوه عن "أوفى"، فقال: قتل. وزحف أوفى إلى أحد الجبلين، فأقام به حتى أفاق، ثم أقبل إلى قومه وهو في أنفسهم قد قتل، فقال رجل منهم: لولا أن الموتَى لا تُنشر لأنبأتكم إنَّ هذا أوفى، فنظر القوم فإذا هو أوفى، قال: وجابرٌ في القوم فانسلَّ، فأخبرني "قراد بن العنبر الرزامي" قال: والله ما ندري أين سقط، ولا من ولد إلى الساعة، استحياءً من الكذبة حين أخبرهم أن أوفى قد قتل

(١) السابق، ص ٧٩٢.

(٢) السابق، ص ٧٩٢.

وأخبر أوفى أنَّ جابرًا نعاه[١]، فقال:

ألا أَبْلِغَا خُلَّتِي عامرًا ... بأنَّ خَلِيْلَكَ لم يُقْتَلِ
تَخَطَّأتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ ... وأُخِّر يَوْمِي فلم يَعْجَلِ
وإذْ ما أتيتَ بني مازنٍ ... فلا تَفْلُ رأْساً ولا تَغْسِلِ
فَلَيْتَكَ لم تكُ من مازنٍ ... ولَيْتَكَ في البَطْنِ لم تُحْمَلِ
وليتَ سِنَانَكَ صِنَّارةٌ ... وليتَ رُميحَكَ من مِغْزَلِ
تَجَاوَزْتَ جُمْرَانَ من ساعةٍ ... وقُلتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ
وقلتَ "عمايةُ" أرضٌ فَضَاءٌ ... فلأيًا أَؤُوبُ إلى مَعْقِلِ[٢]

٤- أعراب بني أسد

أنشد "محمد بن أنس الحذلمي الأسدي"، عن أعراب بني أسد، أن "لقيط بن نويفع" قال في الحجاج بن يوسف[٣]:

(١) معمر بن المثنى التيمي (ت: ٢٠٩)، كتاب الديباج، تحقيق: عبد الله بن سليمان الجربوع، وعبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) السابق، ص ٣٩، ٤٠.

(٣) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى، قائد داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع، فكان في عديد شرطته، ثم ظَلَّ يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وحاصر ابن الزبير في مكة، ثم حكم العراق وما حولها، ووجه الجيوش لقتال الخارجين من الخوارج والثائرين على الدولة كابن الأشعث، وفتحت كثير من البلاد في المشرق في حكمه للعراق، وله أخبار كثيرة، ومات بواسط سنة ٩٥هـ. (انظر: ابن حزم الأندلسى: جمهرة أنساب العرب. تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة، دار المعارف، ط٥، ج١، ص٢٧٦، وانظر: ابن خلكان: وفيات =

ولو كنت في العنقاء أوفى "عماية" ظننتـــك إلا أن تصـــد ترانـــي
أســهد مــن نــوم العشــاء كــأنني ســليم يغــر الضــرو بــالنبوان
عليـــه تميمـــات كـــأن فـــؤاده جناحـا عقـاب دائـم الخفقـان
تضـيق بـي الأرض الفضـاء لخوفـه وإن كنـت قـد طوفـت كـل مكـان
وآليـــت لا آتيـــك إلا مســـالما معي منك يا ابن الأكرمين أماني
ومـا العـرق كانـت لـي بـدار إقامـة ولا الجـو منهـا كـان لـي بمغـاني
أعـوذ بقبـري يوسـف وابـن يوسـف أخيـك وبـالقبر الـذي بعـدان
ســمي نبــي الله مــن أن تنــالني يــداك ومــن يغتــر بالحــدثان!

وكـان نويفـع مـن رجـالات العـرب شـعرًا ونجـدةً، وكـان ربمـا أخـاف السبيل، فأطرده الحجاج لجناية، فلم يزل خائفًا[1].

"عماية" في النثر العربي

في هذا الجانب لا نجد "عماية" في القصص، وإنما نجدها في الشعر الذي هو شاهد في القصة النثرية، وفي الحقيقة: إن هذا المنحى يفترض أن يلحق بالفصل الخاص بدراسة "عماية" والشعر، ولكن هناك علاقة بين هذه القصة والقصيدة التي نحت "عماية" فيها منحى، سواء

= الأعيان وأنباء أبناء الزمان. حققه: د. إحسان عباس. بيروت، دار صادر، ج٢، ص٣٠، وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية. تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج ١٢، ص٥٠٩).

(١) محمد ين سلام الجمحي (ت: ٢٣١)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدة، السفر الثاني، ص٦٤٢، ٦٤٥.

لدلالة معنوية أم غير ذلك.

ذكر أبو عبيدة أن رجلاً من "السواقط"[١] من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له، فكتب له عمير بن سُلْمِيٍّ أنه جار له، وكان أخو هذا الكلابي جميلاً، فقال له قرين أخو عمير: لا تَرِدنّ أبياتنا هذه بأخيك هذا؛ فرآه بعد بين أبياتهم، فقتله، قال أبو عبيدة: وأما المولى فذكر أن قرينًا أخا عمير كان يتحدث إلى امرأة أخي الكلابي، فغير ذلك عليه زوجها، فخافه قرين، فقتله، وكان عمير غائبًا، فأتى الكلابي قبر سُلْمِيٍّ أبي عمير وقرين، فاستجار به وقال[٢]، من الكامل:

وإذا استجرتَ من اليمامة فاستجر زيدَ بن يَرْبُوعٍ وآل مُجَمِّعِ
وأتيتُ سُلْمِيًّا فعذتُ بقبره وأخو الزَّمانة عائذٌ بالأمنعِ
أَقُرَيْنُ إنَّك لو رأيت فوارسي بعمايتين إلى جوانب ضلفعِ[٣]

(١) والسواقط هم من قدم اليمامة ووردها من غير أهلها، انظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦.

(٢) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد(ت: ٢٨٥هـ)، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) "جبل يقع في الجهة الجنوبية من جبل سلى، على مسافة نصف يوم، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يمر به السالك من نجد إلى بيشة، وضلفع هذا في الجهة اليمانية من نجد"، انظر: محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج٢، ص ٨٥، ويزيد "ابن جنيدل توضيحًا بقوله: "جبل أسود كبير، يقع في جنوب صحراء الفرشة، شرقًا جنوبًا من بلدة رنية"، انظر: سعد بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق٢، ص ٨٦٥.

حـدّثت نفسـك بالوفـاء ولـم تكـن للغـدر خائنـة مغـل الإصـبعِ[1]

الإصبع موضعها هاهنا موضع اليد، يقال: لفلان عليك يد، وله عليك إصبع، والمراد النعمة، والعرب تقول: "هو مغل الإصبع"، من أغل إذا خان، وهو الذي يخد بإصبعه حتى يستسيل الودك[2].

فلجأ قرين إلى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة، فحمل قتادة إلى الكلابي ديات مضاعفة، وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك، فأبى الكلابي أن يقبل، فلما قدم عمير قالت له أمه، وهي أم قرين: لا تقتل أخاك، وسق إلى الكلابي جميع ماله، فأبى الكلابي أن يقبل، وقد لجأ قرين إلى خاله السمين بن عبد الله، فلم يمنع عميرًا منه، فأخذه عمير، فمضى به حتى قطع الوادي، فربطه إلى نخلة، وقال للكلابي: أما إذا أبيت إلا قتله، فأمهلْ حتى أقطع الوادي، وارتحل عن جواري فلا خير لك فيه، فقتله الكلابي[3]، ففي ذلك يقول عمير: من الطويل:

قتلنـــا أخانـــا بالوَفَـــاءِ لِجَارِنَـــا وكـــانَ أبُونـــا قَـــد تُجيـــر مقـــابره[4]

وقال أم عمير من الوافر:

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، مرجع سابق، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، مرجع سابق، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، مرجع سابق، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، مرجع سابق، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

تعـــدُّ معـــاذرًا لا عُـــذْرَ فيهـــا ومـــن يَقْتُـــل أخـــاه فقـــد ألامـــا[١]

لعلنا نستخلص بعضًا من صفات "عماية" التي تناولها الجناة الذين سكنوا واستوطنوا بها مدة هروبهم، مثل: القتال الكلابي، حيث وصفها بالأم، وذلك بالمأوى لكل جانٍ وطريد، مؤكدًا على أن القوم إذا نزلوا بها لا يستطيعون أن يعرفوا ما بها، وكذلك إذا حاول السلطان أن يمسك من بها أو يناله، بإرساله الجنود لمحاولة اعتقاله، وإلقاء القبض عليه.

ووصفوها بطول رؤوسها، وكثرة مرتفعاتها الشاهقة، ووصف صخورها بأنها ملساء تحتوي على قلات كثيرة مليئة بالماء الصافي الكثير.

كما ذكر بعضهم هروبه من سجنه لاجئًا إلى "صاحة" و"عماية"؛ خوفًا من الموت الذي سيعقبه في سجن مروان، متحدثًا عن إقامته في "عماية"، ذاكرًا مقابلة النمر له ومصاحبته له، وصيدهما جميعًا ونومهما وأكلهما والقلات التي يشربون منها.

ويؤكد "أبو علي الهجري" على حماية "عماية" للجناة عند ذكر قصة "قعنب القشيري" وعبيد الله الطريد، أما قصة "أوفى بن مطر" فتؤكد مناعة "عماية" وكبرها واحتوائها على المخزون المعيشي للإنسان من ماء ونبات، بالإضافة إلى حديث "نافع بن لقيط" عنها، وغيره مثل جرير في قصائده المتكررة عن "الحجاج بن يوسف الثقفي" وخوفه منه، والذي سنتناوله في المبحث القادم.

فيتضح من القصص سالفة الذكر أن الشعر كان داعمًا لصدق الحكاية، موضحًا مواقف أبطالها، مُبَيِّنًا تفاصيل حوادثها، وكان مُؤَيِّدًا ما

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٢، ص١٤٦، وينظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، مرجع سابق، م١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

جاء في السرد مشيرًا إلى "عماية"، ففي حكاية القَتَّال الكلابي – على سبيل المثال– جاء في النثر الحديث عن هروب القتال: (فلحق بـ"عماية"، و"عماية" جبل، فاستتر فيه). وأيَّدَ الشعر ذلك موضحًا أن "عماية" يحمي كل طريد مثل الأم، فهو أمٌّ لكل طريد، حيث جاء على لسان القتَّال:

جَـزى اللَـهُ عَنّـا وَالجَـزاءُ بِكَفِّـهِ "عمايـة" خَيـراً أُمَّ كُـلِّ طَرِيـدِ [1]

وفي قصة "قعنب القشيري": (ثم طار فقفز في "عماية") أما في قصة "أوفي بن مطر" فجاء على لسان أوفى: (فإنِّي أزحف حتى نلحق بـ"عماية"، فنشرب من مائِها، ونأكل من خُضَرِها، فقال جابرٌ: والله ما ترك بنو أسد بـ"عماية" إلا أرضًا فضَاء)، وجاء على لسان أوفى بعد ذلك شعرًا:

وقلـتَ "عمايـة" أرضٌ فَضَـاءٌ فلأيـاً أَؤُوبُ إلـى مَعْقِـلِ[2]

وفي قصة أعراب بني أسد جاء الشعر فيها معبرًا عن موقف الاعتذار والمديح حيث قال:

لو كنت في العنقاء أو في "عماية" ظننتـك إلا أن تصـد ترانـي[3]

وجاء الشعر عن "عماية" في قصة "عُمير بن سلمى، وابن كلاب، ولم يأتِ ذِكْرُ "عماية" في النثر.

نخلص مما فات إلى أن جبل "عماية" كان حاضرًا في النثر العربي عبر القصص التي تناقلها العرب، وكان حاضرًا فيما آزر تلك القصص من أشعار.

(١) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣، وينظر: اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٥.

(٢) معمر بن المثنى التيمي، كتاب الديباج، مرجع سابق، ص ٣٩، ٤٠.

(٣) محمد ين سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، السفر الثاني، ص٦٤٢، ٦٤٥.

"عماية" في الحِكَم

لعظم جبل "عماية" وكبره ضُرِب به المثل في الثقل، قديمًا وحديثًا، وقد ورد ذلك عند أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) في كتاب "جمهرة الأمثال" في الباب الرابع "فيما جاء من الأمثال في أوله ثاء" في قوله: "أثقل من ثهلان، ومن نضاد، ومن "عماية"، ومن أحد، ومن حضن، ومن دمخ"(١). ثم يُعلّق على ذلك في تفسير الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة بقوله: "كل ذلك أسماء جبال معروفة، وكل قوم يتمثلون بالجبل الذي يقرب منهم"(٢).

ويتناول ذلك كتاب نثر الدر للآبي (ت: ٤٢١هـ) في الباب الرابع أمثال العرب، ويعدد كثيرًا من الأمثال، ويذكر فيها "عماية" بقوله: "أثقل من عماية"(٣).

وفي مجمع الأمثال للميداني(ت: ٥١٨هـ) يذكر هذا المثل بقوله: "أثقل من عماية"(٤). فهذا المثل تكرر في أمهات كتب الأمثال، ونجد توافقها جميعًا لفظًا ومعنىً.

وفي الحقيقة أن هذا المثل قال به الشعراء، مثل "الفرزدق" في قوله:

(١) أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص ٢٩٢.

(٣) منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: سيدة حامد عبد العال و حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ج٦، ق١، ص ٢٢٤.

(٤) أحمد محمد أحمد إبراهيم النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٥٦.

يَصدَعنَ ضاحِيَةَ الصَفا عَن مَتنِها وَلَهُـنَّ مِـن جَبَلَـي "عمايـة" أَثقَـلُ[1]

وهنا لا يستطيع أحد أن ينكر هذا المثل الذي يستخدمه أبناء المكان اليوم بالمعنى نفسه فهم يقولون: "أقل من الحصاة"، و"أثقل من الحصاتين"؛ فقد تحول المثل مع تحول الاسم عند سكان المنطقة، ونجد بالإضافة إليه مثلًا آخر يتداوله سكان المنطقة بقولهم: "أكبر من الحصاة"، وقولهم: "أكبر من الحصاتين".

"عماية" في فن الرسائل

لم تكن "عماية" حاضرة في الشعر وحسب، وإنما كان لها حضور في النثر أيضًا؛ حيث نجدها تكررت في السرد القصصي والحكم، وفي فن الرسائل، حيث نجدها في "رسائل الصَّاهل والشّاحج لأبي العلاء المعري (ت: ٤٤٩هـ)، ففي المشهد الثاني من الرسالة الذي يدور محوره بين البعير (أبو أيوب) وبين الشاحج –وردت "عماية" في بيتي شعر تحت "تعليق البعير على ما سمع من شرح وتفسير، واستبعاده أن يفهم عزيز الدولة منطق البهائم" في قوله:

"ومن الذي أوهمكَ أن مثلكَ يُسمعُ له قولٌ أو يُعرفُ منه إيماءٌ؟ إن كان بلغك ذلك من أهل "حلب" حرسها الله، فإن حب "السيد عزيز الدولة أمير الأمراء" أعز الله نصره، قد غمر قلوبهم وغطى أعينهم.

ومن الكلام القديم: حبك الشيء يعمى ويصم، لا سيما قوم عدول يعرفون بـ"بني سنان" يغلون في وصف هذا السلطان – أطال الله بقاءه – فيزعمون أن كفه أسمح من اللافظة، وأن قلبه أشجع من قلب أسامة، وأنه

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

بالرعية أبرُّ من الوالدة، وأن رأيه أهدى للضلال من جدي الفرقد، بل من الشمس الطالعة؛ ويدعون له ضروبًا من فضائل متباينات لا يجتمع مثلها في الآدميين. ولعلك بلغك عن هؤلاء القوم أنهم يدعون للسيد "عزيز الدولة أمير الأمراء" أنه أوتي ما أوتيه "سليمان" – صلى الله عليه وسلم. من معرفة كلام البهائم والطير وصنوف الحيوان، فإن كان نقل إليك هذا الخبر فمثله يحملك على تكليف حاجتك من يمر بك، وهل تقبل شهادة "جميل" لـ "بثينة" أو "كثير" لـ "عزة"؟

وما أنكر أن "السيد عزيز الدولة أمير الأمراء" – أعز الله نصره – كما وصف هؤلاء، غير أني لا أزعم أنه يفهم أصوات الحيوان، وهل يعلم ذلك أحد إلا الله؟

ومثل المحبة مثل الخمر؛ كلما دبت في الجسم كان أبلغ لها في تعبير الحلم، قال الشاعر:

ونَـدْمانٍ يَزِيـدُ الكـأْسَ طِيبـاً سَـقيتُ الجاشِـرِيَّةَ أَو سـقاني

إلـى أَن خِلْـتُ أَن أَبـا قُبَـيسٍ وهَضْـبَ "عمايـة" فَرَسـا رِهـانِ

فهذا من فرط الإذهان؛ ظن جبلين من جبال الأرض فرسي رهان"[1].

النص صريح في تناول "عماية" بذكر الهضب التي قرنت مع جبل أبي قبيس، وفي الحقيقة أن هذه الرسالة لم تتناول "عماية" بموضوع خاص، وإنما جاءت في معنى عابر، فكان لها حضور رمزي على نحو ورودها في بعض الشعر والسرد القصصي.

(١) أبو العلاء المعري، رسالة الصَّاهل والشّاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

المبحث الثالث: حضور "عماية" في الشعر

القيمة الإبداعية للمكان تتكشَّف لنا بأنماطها الواقعية والجمالية وإحالاتهما الثقافية من خلال مدوَّنة العرب الشعرية، فقد كرَّس وقوف الشاعر العربي القديم على الأطلال إشكالاً ثقافيًا يروم رسم العلاقة بين الإنسان والمكان وتحديد أبعاده(١). "وعلاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي، ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي"(٢)، إذ "المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها، وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع، على أنه يظل–على الرغم من ذلك– واقعًا محتملاً؛ إذ إن جزئياته تكون حقيقة، ولكنها تدخل في سياق حلمي يتخذ أشكالاً لا حصر لها، يصل إليها الخيال اللغوي فيما يمكن أن يسمى جماليات اللغة أو جماليات الخيال"(٣)، وقد اقتصر أحد الباحثين في حديثه عن المكان مقفرًا، وقد يكون خصبًا، وأوضح في أحد فصول دراسته أن الجبال ربما ينطبق عليها ذلك بالإضافة إلى المكان التاريخي الثابت وغير الثابت، ولمح للجبال وأسمائها في ذلك(٤).

---

(١) محمد إبراهيم الدبيسي، مدار الكتابة المدينة المنورة دراسات ومقاربات، منشورات ضفاف، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، ص ١٩.

(٢) جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ١٠.

(٣) اعتدال عثمان، إضاءة النص–قراءات في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص ٧، ٨.

(٤) خالد بن عبد العزيز اللعبون، المكان في شعر البردوني دراسة موضوعاتية، حقوق الطبع =

ولعل جبل "عماية" ينطبق عليه أحد الأسباب التي تناولها "المنصوري" في حديثه عن المكان وعلاقته بالشعر في قوله: "وقد التمستُ بعض الأسباب التاريخية والحضارية، ووقفت على أسباب أخرى ذات علاقة بطبيعة المكان واسمه والأحياء التي تعيش فيه، وهذه الأسباب كانت وراء ارتباط طائفة من المواضع ببعض العواطف والانفعالات والأفكار، بل إنها أسهمت في تقريبها من الأعراف الشعرية؛ حتى أصبحت القصائد تزدان بألفاظ المكان"(١)، وقد تظهر بقية الأسباب من خلال عرضنا للدراسة وخاصةً في هذ المبحث، حيث يتناول هذا المبحث حضور "عماية" في الشعر تشبيهًا، وصورًا فلسفيةً، مع الإشارة إلى علاقة "عماية" بالموت، وحضورها في جميع أغراض الشعر بالمثال الحي والإبداع الوجداني، المتمثل في غياب بعض الشعراء عنها جسديًّا وحضورها شعريًّا، مما جعلها مضرب المثل للبعد المكاني والحضور في الوقت ذاته مع رمزية القوة والتحدي، ويبرز–في هذا المبحث– صورة مثالية حية قامت على رسم الطبيعة الجغرافية والبيئية، وما يتعلق بها من حيوان ونبات وصفات جغرافية، قد يغلب جانب فيها الآخر مما جعلنا نفرد له عنوانًا مستقلاً، مثل وصف الوعل، ووصف المطر، بالإضافة إلى تناول بقية المشاهد في مبحث مستقل.

= محفوظة للمؤلف، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، ص ٢٣، ١١١، ١٥٣.

(١) جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، مرجع سابق، ص ٣٠.

"عماية" الحضور والمثال

يكثر الحديث عن جبل "عماية" عند الشعراء، حيث رسموه في شعرهم وشبهوه في فخرهم ومدائحهم، بل كان له حضور في حنينهم ووجدانهم، وربما لا يخلو غرض من وجود أثر لـ"عماية"، سواء أكان ذلك بالتصريح والمباشرة أم بالعبور والرمزية، وهذا "الفرزدق" يربط "عماية" بالفخر والمديح في قوله:

وَكُنتَ كَذِئبِ السوءِ لَمّا رَأى دَمًا ... بِصاحِبِهِ يَومًا أَحالَ عَلى الدَمِ
لَقَد خُنتَ قَوماً لَو لَجَأتَ إِلَيهِمِ ... طَريدَ دَمٍ أَو حامِلاً ثِقلَ مَغرَمِ
لَأَلفَيتَ فيهِم مُطعِمًا وَمُطاعِنًا ... وَراءَكَ شَزرًا بِالوَشيجِ المُقَوَّمِ
لَكانوا كَرُكنٍ مِن "عماية" مِنهُمُ ... مَنيعِ الذُرى صَعبٍ عَلى المُتَظَلِّمِ[1]

يؤكد الشاعر على إكرام القوم وشجاعتهم بأخذ الثأر، وحماة الجناة، فهم حصن منيع مثل ركن "عماية" في حمايتهم وقوتهم "ويأتي في مقدمة المعاني الشعرية التي تتعلق بالجبل معاني المنعة والاعتصام، فقد رأى العربي –في علو الجبل وارتفاعه– ما يكفل له البعد عن بعض الأخطار التي تحيط به في الأماكن السهلة أو المنبسطة، كأنه حين يكون هناك لا تناله يد ولا يطوله حكم"[2]، ويتشكل ذلك عند الشعراء بين الطول والارتفاع، وبين القوة والكبر والمتمثل في الركن أحيانًا.

وهذا "ابن الرومي" يقول مفتخرًا بنفسه:

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، مرجع سابق، ص ٥١٩.

(٢) جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، مرجع سابق، ص ٣٨.

كـأن لقـاء الهـام إذ خَـذْرَفَتْ بـهِ لُقَى حنظلٍ بالصحصحان مُفَلَّقِ
كـأنهمُ لمـا أطـافوا بجـانبي أطافوا بركن من "عماية" أخلقِ
تـزِلُّ عِتـاقُ الطيـر عـن قذفاتـهِ أشـمَّ بنـافٍ بالعمـاء منطَّـقِ
فلمـا رأوا رَأْيَ الجَلِيَّـةِ إنّمـا تصلَّوا بألهوبٍ من النار مُحْرِقِ
تَوَلَّـوْا وقـد هَـرُّوا هريـرَ مـذاقتي ومن يَرْعَنِي يومَ الكريهة يسبقِ[1]

نجد "ابن الرومي" يفتخر بنفسه ويشبه شجاعته وحمايته بركن "عماية" في الارتفاع والطول، وذلك بأن أعداءه يطوفون حوله، فلا يستطيعون أن يصعدوه ولا يوقعوه، وقد يرمز ركن "عماية" إلى الاستمرار وعدم اليأس في الفتك بأعدائه حتى وإن استمروا بمحاربته مما جعلهم يولون هروبًا منه.

وهذا "الفرزدق" يشبه نفسه بالقدماء من الشعراء، مؤكدًا ذلك بأنه وريثهم في الشعر، حتى أصبح أثقل لهذا الأمر من جبل "عماية"، وهنا تظهر قدرته الشعرية ومكانته اللغوية، مفتخرًا على أعدائه، متباهيًا بنسبه وشرفه على خصومه، فقال:

وَلَقَـد وَرِثـتُ لِآلِ أَوسٍ مَنطِقـاً كَالسُّـمِّ خـالَطَ جانِبَيـهِ الحَنظَـلُ
وَالحـارِثِيُّ أَخـو الحِمـاسِ وَرِثتُـهُ صَـدعاً كَما صَـدَعَ الصَفاةَ المِعْوَلُ
يَصـدَعنَ ضـاحِيَةَ الصَـفا عَـن مَتنِهـا وَلَهُـنَّ مِـن جَبَلَـي "عمايـة" أَثقَـلُ

(١) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٥٠٣.

دَفَعــوا إِلَــيَّ كِتــابَهُنَّ وَصِــيَّةً فَــوَرِثْتُهُنَّ كَــأَنَّهُنَّ الجَنــدَلُ[1]

يقول الفرزدق: إنه ورث الكلام لآل أوس، وهذا الكلام مثل السم القاتل الذي خالطه الحنظل المر، وإنه ورث الحارثيَّ شقًّا كما شق المعولُ الصخرة، وما ورثته عنه يشق الصخور عن ظهرها، وإن هذه الصخور أثقل من جبلي "عماية"، وإن أسلافي وأجدادي من شعراء العرب أوصوني بكتابهم فورثتهم، فكانوا لي مثل الجندل في القوة والتأكيد على التمسك بهذا الميراث، وهنا يفخر بنفسه وبما ورثه من قدرة شعرية عمن سبقه من الشعراء الكبار.

ونجد "القاسم بن هُتَيْمِل" يؤكد مناعة ركن "عماية" وحصانته في مديحٍ رثائي بقوله:

إذا أعطــاكَ عبــدُ اللهِ عَهــدًا فــلا تَخطــبْ مُســالَمةَ الخُطــوبِ

تَلُــوذُ إذا نَزَلــتَ بــه بِركنَــي "عمايــة" أو يَلملــم أو عَســيبِ[2]

يبرز في الأمثلة السابقة تشبيه القوم والممدوح والفخر بالنفس في المناعة والحصانة بركن جبل "عماية"، وذلك في الحماية والقوة، وهنا تبرز قوة الحضور في رسم "عماية" عند الشعراء، كما نجد ذلك عند "أبي تمام" في مدح "خالد بن يزيد بن مزيدٍ الشيباني":

أَيَقَنــتَ أَنَّ مِــنَ السَــماحِ شَــجاعَةً تُـدمي وَأَنَّ مِـنَ الشَـجاعَةِ جُـودَا

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، مرجع سابق، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) القاسم بن علي بن هتيمل، ديوان ابن هتيمل دراسة وتحليل، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، دار الكتاب العربي بمصر، ط١، ١٣٨١هـ، ص ٣٨.

وَإذا سَـرَحْتَ الطَـرفَ حَـولَ قِبابِـهِ لَـم تَلـقَ إلّا نِعمَـة وَحَسـودا
وَمَكارِمـاً عُتُـقَ النِجـارِ تَليـدَةً إن كانَ هَضْبُ عَمايَتَينِ تَليدا[1]

يذكر "أبو تمام" صفات ممدوحه، حيث النعم تحيط به من كل جانب، ومن حوله يتحاسدون فيما بينهم، ثم ينتقل لمدحه بالمكارم والفضل والمجد الذي ورثه من أجداده، فهو قديم يشبه هضب عمايتين في قدمها، فاستعار التليد للهضب بقوله: (مكارمكم تليدة قديمة إن كان هذا الجبل قديمًا تليدًا"[2].

ويقول "ابن هانئ الأندلسي "يمدح" إبراهيم بن جعفر"، ويصف مجلسًا بناه:

ولئن تَلَقّيْتَ الشّبابَ وعَصْرَهُ بالمُلْهِياتِ فَعَصْرُها وأوانها
ولئن أبَتْ لك خفْضَ ذاكَ ولِينَهُ نفسٌ كهَضْبِ عَمايَتينِ جَنانها
فلقبلَما أسْلتْكَ عن بِيض الدُّمى بِيضٌ تُكسَّرُ في الوغى أجفانها
وضرائبٌ تُنبي الحُسامَ مَضارِبًا أردَتْ شَراسَتُها فخِيفَ لِيانُها
وأُبُوّةٌ هجَرَتْ مَقاصِرَ مُلْكِها فكأنّمَا أسْيافُها أوطانُها[3]

يوجه الشاعر حديثه إلى "إبراهيم بن جعفر" فيقول له: إنك إذا

(١) أبو تمام، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ج١، ص ٢٢٣.
(٢) المرجع السابق: ج١، ص ٢٢٣.
(٣) زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ. ص ٧٦٨.

انغمست في اللهو في عهد الشباب فلن يلومك أحد؛ لأن الشباب هو عهد اللهو والعبث والمرح، ولكن نفسك لم تَقْبل تلك الحياة اللاهية السهلة اللَيِّنَةَ، فإن نفسك ذات عقل قوي مثل هضب عمايتين.

ولقد سَلَوْتَ من قبلُ عن النساء الجميلات بالسيوف التي تكسر خوذات العدوّ في أثناء الحرب، فصار اهتمامك بتحقيق الأمجاد في القتال بكسر الخوذات يجعلك تسلو الجميلات، واستخدم الجناس ببراعة حين كنى عن النساء صاحبات الجمال بقوة: (بيض الدمى)، وذكر (بيضٌ) بمعنى الخوذات.

ومواقع فيها ضربات السيف التي قتلت شراستها، فخافها العدو حتى وهي هادئة في وقت اللين، وأبوة هجرت بيوتها وأملاكها، فكأنما صارت أسيافها هي أوطانها التي لا تفارقها.

ويبدو من النص أيضًا أن ابن هانئ الأندلسي ذكر في هذه الأبيات كثيرًا من صفات ممدوحه إبراهيم بن جعفر؛ فأنبأ بأن إبراهيم لم ينغمس في لهو الشباب؛ لأنه قوي مثل هضب عمايتين، ولقد نسي النساء الجميلات حين وهب نفسه للحروب؛ كي يحقق الأمجاد الباقية.

ويبرز المثال في مديح "مهيار الديلمي الدمشقي"، بقوله:

وعدْتَني فارْتشتُ محْصوصًا بما ... وعدْتنيه وغنيتُ مخفِقا
فاسمع وعش تُجزَى بما تسمعه ... مَطارِبًا لو نادت الميْتَ زقا
لو ما رميتُ الحجرَ الصلدَ بها ... أخدعه "عماية" لانفلقا
تخلقُ لي في قلبِ كلّ حاسدٍ ... إما هوىً محضًا وإما ملَقا[1]

(١) مهيار الديلمي، الديوان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م، ج٢، ص =

يمدح "مهيار" هنا "الشريف الزكي أبا علي" وقد ورد من الكوفة إلى بغداد، فيقول له: إنك وعدتني وكنت قد نُتِفَ ريشي، فنبت لي بوعودك ريش جديد، وغنّيتُ لكنه كان غناءً مخفقًا، فاسمع وعش تجز بما تسمعه من قصائدي التي لو نادت الميت لهبّ من موته وصاح، ولو أني رميت بقصائدي الحجر الشديد الموجود في جبل "عماية" لانفلق، فأنت تُوجِد لي في قلوب حُسّادي إما الهوى، وإما التودد بالكلام اللطيف والتضرع فوق ما ينبغي.

ويقول "الفرزدق" مخاطبًا "جرير":

عَفّـــى المَنـــازِلَ آخِـــرَ الأَيّـــامِ قَطـــرٌ وَمـــورٌ وَاِخـــتِلافُ نَعـــامِ
قـالَ اِبـنُ صـانِعَة الـزُّروبِ لِقَومِـهِ لا أَســـتَطيعُ رَواسِـــيَ الأعـــلامِ
ثَقُلَـتْ عَلَـيَّ عَمايَتـانِ وَلَـمْ أَجِـدْ سَـبَبًا يُحَـوِّلُ لـي جِبـالَ شَـمامِ[1]

يتكلم "الفرزدق" على لسان جرير بحوارٍ دائرٍ بينه وبين قومه، وذلك لتأكيد الهجاء بالاعتراف على لسان المهجوّ "جرير" في حديثه لقومه بعدم استطاعته حمل الصعاب دون قبيلته والمواقف والأمور الكبار التي تشبه الجبال، مؤكدًا في مثاله على ثقل جبل عمايتين وتحويل جبل شمام، وهنا أصبحت "عمايتان" مثالاً في عدم تحقق أفعاله، وذلك لثقلها وكبرها.

ويقول "عبد الصمد بن بابك" في وصف الفيل:

وإذا تخلَّـــــلَ هَضْـــــبَةً فكـــأنَّ ظـــلّ الليـــلِ مُـــدَّا
وإذا هـــوى فكـــأنّ ركـــ ـناً مـن "عمايـة" قـد تـردَّى

= ٣٣١، ٣٣٢.

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: علي فاعور، مرجع سابق، ص ٦٠٩.

وإذا استقلّ رأيت في أعطافِهِ هَزْلاً وَجدَّا[1]

يشبه "ابن بابك" الفيل إذا هوى بركن "عماية" إذا سقط بقوة سريعة، وهنا أصبحت "عماية" مثالًا حضوريًّا في تشبيه الشاعر قوة الفيل بركن هذا الجبل.

كما نجد ذلك يتكرر عند "سليمان النبهاني" في رسم حقب "عماية" في قوله:

كأني على من حقب[2] بينَ "عماية" وبين النعاف الشّمِّ بين المخارم[3]

نجد "عماية" حاضرة عند الشعراء بأجزائها وفروعها وأطرافها كما رأينا في الأمثلة السابقة ومثال "النبهاني" نفسه بقوله:

لقدْ أثرتْ أيدي الهوى في فؤادهِ صدوعاً كأعشارِ الزُّجاج المشاعَب
إذا جنَّه الليلُ البهيمُ تأوَّبتْ عليةِ سواري الهمّ من كل جانبِ
وحتى كأنَّ الرّعنَ رعنَ "عماية" وثهلانَ لُزَّا في قران الكواكبِ[4]

يشبه حال الهم باقتران أنف "عماية" وجبل ثهلان بالكواكب في

(١) عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ج٣، ص٢٧٠، ٢٧١، وينظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٦٤.

(٢) الحقب: هي المرتفعات والمنخفضات في جبل "عماية" فهي ليست على خط واحد في الارتفاع أو النزول أو الاستواء.

(٣) سليمان بن سليمان النبهاني، ديوان النبهاني، تحقيق: عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٨.

(٤) سليمان النبهاني، ديوان النبهاني، مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.

السماء، وذلك بتشبيه كبر الهموم لديه؛ حيث شبهها بالجبال، وتكرارها عليه ليلاً فهو يتصورها في كل ليل مع النجوم في السماء، وهنا نجد أن "عماية" تنوعت عند الشعراء بين الحضور مرة والمثال أخرى.

ففي الأمثلة السابقة نجد هناك علاقاتٍ متفاوتةً، ولكنها تصب في قالب واحد اجتمعت فيه وهو المشبه به "جبل "عماية" أو أجزاء منه، فنجد حماية القوم والممدوح والفخر بالذات، وقدم المكارم والمجد، وقوة الفيل إذا سقط تشبه بقوة "عماية" وكبرها، ونجد ضعف المهجو وعدم استطاعته حمل الأثقال التي تشبه "عماية" عند الفرزدق، ونجد رسم الطريق يشبه بارتفاعات "عماية" وانخفاضاتها عند النبهاني، وأيضًا نجد كبر الهم واستمراره ليلاً يتفلسف فيه النبهاني ويربط أنف "عماية" فيه بالكواكب، وهنا يظهر التنوع المستمر الذي يعد مثالاً على جزء من صفات جبل "عماية".

"عماية" البعد والغياب

نجد جبل "عماية" حاضرًا في الشعر العربي عامة، مع تنوع دلالة حضوره، ولعلنا نبرز في هذا الجانب بُعْدَ "عماية" وغيابها عند بعض من الشعراء خصوصًا في ضربهم المثل ببعدها في توصيفهم عند غربتهم، أو عند التمثيل لها لغرض ما، كما نرى ذلك في تمثيلها ببعدها عن نجران أو غمدان، وببعدها عن العراق، كما نجد غيابها عند الشعراء من خلال رسم صورتها وتخيلها، سواء أكان ذلك للجناة أم ساكنيها، وقد تبرز هذه الصورة من خلال عرض الأمثلة التي تكررت كثيرًا لدى "جرير"، حيث يقول في مدح "الحجاج بن يوسف الثقفي":

إِنَّ اِبـنَ يوسُـفَ فَـاِعلَموا وَتَيَقَّنـوا ماضـي البَصـيرَةِ واضِـحُ المِنهـاجِ

ماضٍ عَلى الغَمَراتِ يُمضي هَمَّهُ وَاللَيلُ مُختَلِفُ الطَرائِقِ داج
مَنَعَ الرُّشا وَأَراكُمُ سُبُلَ الهُدى وَاللِّصَّ نَكَّلَهُ عَنِ الإِدلاجِ
فَاستَوسقوا وَتَبَيَّنوا سُبُلَ الهُدى وَدَعوا النَجِيِّ فَلَيسَ حينَ تُناجي
يا رُبَّ ناكِثِ بَيعَتَينِ تَرَكتَهُ وَخِضابُ لِحيَتِهِ دَمُ الأَوداجِ
إِنَّ العَدُوَّ إِذا رَمَوكَ رَمَيتَهُم بِذُرا "عماية" أَو بِهَضبِ سُواجِ
فَإِذا رَأَيتَ مُنافِقينَ تَخَيَّروا سُبُلَ الضَّجاجِ أَقَمتَ كُلَّ ضَجاجِ
داوَيتَهُمْ وَشَفَيتَهُمْ مِن فِتْنَةٍ غَبْراءَ ذاتِ دَواخِنٍ وَأُجاجِ
إِنّي لِمُرْتَقِبٌ لِما خَوَّفْتَني وَلفَضْلِ سَيبِكَ يا اِبنَ يوسُفَ راجي
وَلَقَدْ كَسَرْتَ سِنانَ كُلَّ مُنافِقٍ وَلَقَدْ مَنَعْتَ حَقائِبَ الحُجّاجِ[1]

فجرير يمدح (الحجاج الثقفي) ويستعطفه ويتلطفه، ويطلب منه العفو في نهاية مديحه كعادة الشعراء، فيقول: إن العدو إذا رموك، وجاء بواو الجماعة فاعلاً دلالة على كثرة العدو، وقابل فعل العدو بردة فعل"الحجاج" التي مُدِح بها كثيرًا وكانت صفة مشتركة بين الشعراء، وهي شجاعته ونكله بالعدو، فجرير يؤكد على خوف العدو وهروبه من قوة الحجاج وجبروته، فإن عدوه إذا سلم من الموت لم يسلم من الخوف والذل الذي يلازمه، ولا ينجيه منه إلا (ذرى "عماية"، أو هضب سواج)، فـ"عماية" سميت بذلك؛ لأنها تعمي الأثر وكانت تقصدها الجناة، ومنهم (القتال الكلابي)، وهضب سواج هو ما يسمى الهضب حاليًا ومنه حمرة الهضب، و(بدوات) ولاتزال

(١) جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩.

باسمها حتى الآن، وتقع الهضب جنوبًا من "عماية"، فنجد الشاعر علم بهذي المواقع على الرغم من بعدها عن العراق، فهي تقع في عالية نجد، فعمايتان تقعان في الجهة الشمالية من عالية نجد، والهضب في الجهة الجنوبية من نجد أيضًا، والعراق يقع شمالًا عن نجد، وقد قدم الشاعر "عماية" لكونها الأقرب، وأتبع ذلك بـ(أو) التي تفيد التخيير أو الترتيب للأبعد، ولكن طبيعة "عماية" الجغرافية أمنع وأحمى؛ لكونها جبلين مليئين بالمياه بهما أنواع الصيد، والناس لا يقيمون بنفس الجبال، وإنما تكون إقامتهم بجوانبها وفي بعض وديانها – وأردف "جرير" "عماية" بالذرى، وهنا مطابقة الحقول الدلالية لمعانيها، فهي ذرىً منيعة لمن لجأ إليها، تحميه حتى من الحجاج الذي عرف بالقوة قسوة التعامل مع أعدائه، ويعرِّج جرير بعد ذلك على موقف الحجاج من المنافقين وأهل فتنة عدم البيعة، ثم يستعطف ويترجى الحجاجَ بعد مديحه، ذاكرًا موقفه من أهل الفتن، وطالبًا منه العفو والصفح، وذاكرًا خوفه وفضل مواقفه وحمايته لممتلكات الحجيج بعد أن كانت عرضة لمخاطر قطاع الطريق.

ويقول جرير أيضًا في مدح الحجاج بن يوسف الثقفي:

وَمَـن يَـأمَنُ الحَجّـاجُ أَمّـا عِقابُـهُ فَمُـــرٌّ وَأَمّـــا عَقـــدُهُ فَوَثيـــقُ
وَمـا ذُقْـتُ طَعْـمَ النَـومِ إِلّا مُفَزَّعًـا وَمـا سـاغَ لـي بَـينَ الحَيـازِمِ ريـقُ
وَحَمَّلْـتُ أَثقـالي نَجـاةً كَأَنَّهـا إِذا ضَـمَرَتْ بَعْـدَ الكَـلالِ فَنيـقُ
مِـنَ الهـوجِ مِصـلاتًا كَـأَنَّ جِرانَهـا يَمـانٍ نَضـا جَفْنَـينِ فَهْـوَ دَلـوقُ
يُبَـيِّنُ لِلنّسْـعَينِ فَـوقَ دُفوفِهـا وَفَـوقَ مُتـونِ الحـالِبَينِ طَريـقُ
تَـرى لِمَجَـرِّ النِسْـعَتَينِ بِجَوزِهـا مَـــوارِدَ حِرمِـــيٍّ لَهُـــنَّ طَريـــقُ

طَوى أُمَّهاتِ الدَرِّ حَتّى كَأَنَّها فَلافِلُ هِندِيٍّ فَهُنَّ لَصوقُ
إِذا القَومُ قالوا وِردُهُنَّ ضُحى غَدٍ يُغالَينَ حَتّى وِردُهُنَّ طُروقُ
وَخِفْتُكَ حَتّى استَنْزَلَتْني مَخافَتي وَقَدْ حالَ دوني مِن "عماية" نيقُ[1]

يقول "جرير" في مديح الحجاج ذاكرًا أمانَهُ، وقوتَهُ بفتكه بعدوِّه، ووفاءه بوعده، مؤكدًا على بطشه، وجبروته، مما جعل لذلك صدًا بالخوف منه وعدم أمنه وأخذ الحيطة منه وفي هذا يقول: (وما ذقت طعم النوم إلا مفزعًا)، وقوله: (وَما ساغَ لي بَينَ الحَيازِمِ ريقُ)، وهو بهذا يؤكد عدم نومه الهنيء، وجفاف ريقه خوفًا من التأخير على الحجاج، أو عدم رضاه بتدخل الحاسدين والوشاة بينهم عند غيابه، فلم يَطِبْ له البقاء ولم يَرْتَحْ حتى ركب على ناقته واصفًا رحلته في خمسة أبيات، موضحًا طريقه وواصفًا ناقته مبتدئًا ذلك بقوله: (وَحَمَّلتُ أَثقالي نَجاةً)، مشيرًا إلى أن خوفه من الحجاج هو الذي استنزله بالعراق، وجعله دون مكانه الذي كان يعيش فيه صحارى ومرتفعات بعيدة موضحًا هذا المكان، وهو جبل "عماية" فيقول: ما جعلني أترك مكاني "عماية" الذي كنت أعيش فيها أو كان منزله بعدها، إلا خوف الحجاج، ثم يبدأ الشاعر مدح الحجاج، ذاكرًا صفاته، ومؤكدًا على قوته وشجاعته ورعب العدو منه، وذلك بإطفائه فتن العراق، وخوف سراق المال منه وغير ذلك، ف"عماية" هنا جاءت دلالة على مكان حقيقي الغرض منه توضيح البعد الذي عاشه "جرير" والغياب عن موطنه، ولعل هنا إشارة ظاهرة في دلالة الغربة المكانية التي ظهرت لبيان الهدف الحقيقي منها.

(١) جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، مرجع سابق، ص ٣٧٣، ٣٧٤.

وفي تفرد جانب البعد يقول "جرير":

ولَو كُنْتُ في غُمْدانَ أَو في عماية(١) إِذًا لَأَتــاني مِــن رَبيعَــةَ راكِــبُ
بِــوادي الحُشَــيفِ أَو بِجُــرزَةَ أَهلُــهُ أَوِ الجَوفِ طَبٌّ بِالنِزالَةِ دارِبُ(٢)
يُثيـرُ الكِـلابَ آخِـرَ اللَيـلِ صَـوتُهُ(٣) كَضَـبِّ العَـرادِ خَطـوُهُ مُتَقـارِبُ
فَبــاتَ يُمَنّينــا الرَبيــعَ وَصَــوبَهُ وَسَطَّرَ(٤) مِن لُقّاعَةٍ وَهْوَ كاذِبُ(٥)

يهجو جرير (ربيعة) باستضافتهم عند الآخرين، حتى إن كانوا بعد (نجران) و("عماية")، وهنا دلالة على بعد المكان، وذلك بين نجران و"عماية"، فكأن الشاعر يقول: مهما بَعُد الناس فالرجل من ربيعة يستقرئ ويحب القرى عند الناس حتى وإن كانوا بعيدًا عنه، فهم يبحثون عن الناس ليستقروهم، وذلك بإثارة كلابهم آخر الليل بصوته، ومشيته القريبة الخطى، حيث تشبه ضب العراد، ثم يتبع ذلك بالحديث عن الربيع وهو كاذب، إنما أراد من ذلك أن يستقريه صاحب المكان، وعادة الكرم عند العرب تجعل صاحب المكان يقريه، ولكن الشاعر جعل هذه الصفة هجاء عند ربيعة، ولعل دلالة المكان هنا حقيقية، حيث ضرب الشاعر بها المثل في تشبيه

(١) في كتاب الحيوان (لَو كُنتُ في نجران أَو بـ"عماية").

(٢) هذا البيت لم يذكر في كتاب الحيوان.

(٣) في كتاب الحيوان (يُثيرُ الكِلابَ آخِرَ اللَيلِ وطؤُه).

(٤) وردت في كتاب الحيوان (وينظرُ).

(٥) جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، مرجع سابق، ص ٧٤٧، وينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م، ج١، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

بعد المكان بين نجران أو غمدان وبين يذبل، وصورة البعد تتجلى في هذا المثال بوضوح.

ولم يخل الرثاء من الحديث عن "عماية"، يقول "الشريف الرضي" يرثي أبا حسان أمير عقيل:

ضَـمومٌ عَلـى الهَـمِّ الَّـذي بـاتَ جَموحٌ عَلى الأَمرِ الَّذي كانَ أَزمَعا
ضَـــــــــــــــــــــــــيفَهُ
صَليبٌ عَلى قَرعِ الخُطوبِ كَأَنَّما يُرادين طوداً مِن "عماية" أَفرَعا[1]

يعدد الشاعر صفات أبي حسان، فيقول: أن أبا حسان يهمّه ما أهم ضيفه، وإذا أزمع–أي: عزم على أمر– ثبت عليه، وجَدَّ في مَضَائِهِ، ويعصي كل أمر سواه، وهو صلب يواجه حرب الأحوال التي تراود جبلاً عاليًا من "عماية". وهذان البيتان من قصيدة للشريف الرضي التي تقع في ستة وسبعين بيتًا، وهي من المدح الرثائي.

ويقول "بيهس بن صهيب الجرمي" يرثي امرأة من قومه، يقال لها: صفراء بنت عبد الله:

أَلِمَّـا علـى قَبـرٍ لصـفراءَ فـاقرآ السـلام وقـولا حَيِّنـا أيُّهـا القبـرُ
وما كان شيئًا غير أن لستُ صابرًا دعـاءكَ قبـراً دونـه حِجَـجٌ عَشْـرُ
برابيـــةٍ فيهـــا كِـــرامٌ أَحِبّـــةٌ علـى أنَّهـا إلا مضـاجعَهمْ قَفـرُ

(١) الشريف محمد بن أبي أحمد الحسين الملقب بالرضي، ديوان الشريف الرضي، طبعه أحمد عباس الأزهري، برخصة مجلس معارف ولاية بيروت في المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٣٠٧هـ، ص٤٨٤.

عشيَّةَ قال الركبُ من غَرَضٍ بنا ... تروّحْ أبا المقدام قدْ جنَح العصرُ
فقلتُ لهم: يومٌ قليلٌ وليلةٌ ... لصفْراءَ قدْ طال التجنُّبُ والهَجرُ
وبتُّ وبات الناسُ حَولي هُجّدًا ... كأنَّ عليَّ الليل من طوله شهرُ
إذا قلتُ هذا حين أهجَع ساعة ... تطاول بي ليلٌ كواكبهُ زُهرُ
أقولُ إذا ما الجنبُ مَلَّ مكانَه: ... أشوكٌ يُجافي الجَنْب أم تحته جمرُ؟
فلو أنَّ صَخْراً من "عماية" راسيًا ... يقاسي الذي ألقى لقد مَلَّه الصخرُ[1]

ربط بهيس بن صهيب بين قوة تحمله وقوة صخور "عماية"، وساق ذلك في مجال رثاء صفراء بنت عبد الله، فقال لرفيقيه: اذهبا إلى قبر صفراء، واطلبا منه أن يقدم لنا التحية، والأمر أني لا أصبر على دعاء قبر بيني وبينه عشر سنوات. ذلك القبر في رابية يضم ترابها أحبةً كرامًا في قفرٍ خالٍ إلا من هؤلاء الأحبة.

ويحكي عن الركب الذي هو فيه، فيقول: إن أصحابه طلبوا منه الذهاب إلى البيت، فإن العصر قد مال، إشارة إلى اقتراب الغروب، فقال لهم: إنما أحتاج إلى يوم وليلة بجوار قبر صفراء، فإن الهجر طويل، وبات الشاعر، وبات أصحابه نائمين، لكنه ظل مستيقظًا، فأحس أن الليل من طوله شهر، تلمع نجومه مضيئة، وهو لا يستطيع النوم ولا يدري إن كان تحت جنبه شوك أو جمر جعله لا ينام، ويعلن الشاعر أن ما يتحمله وما يقاسيه من آلام لا يتحمله أحد؛ حتى صخر "عماية" القوي، وهنا جاء توظيف صخر "عماية" تلقائيًا في حديث الرثاء، معينًا على تصوير المعنى، وتفريق التجربة الشعورية لدى الشاعر.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م ٢٢، ص ٩٨.

فلسفة الموت في "عماية"

الموت أجل محقق لكل إنسان، ولا بد منه؛ لذلك نجد الرثاء والبكاء والتباكي عند الأقرباء والأصدقاء والخلان، وقد يستمر هذا الحزن عند الراثي، وقد يتلاشى ويقل حتى يتجاوز حزنه على الشخص الراحل، ولكن هناك من خفف عن حزنه بالمواساة لنفسه، بل ولغيره بشعر أو بتذكر حال الحياة وفنائها، رابطًا ذلك بالدين، وأن دار الخلود هي جنات النعيم.

ومن خلال المواساة نجد الشعراء يستخدمون فلسفة الموت في رثاء ممدوحيهم أو من لهم علاقة بهم بذكر صفاتهم ومكانتهم الاجتماعية والعملية وقوة صلابتهم بالحياة اليومية في أثناء حياتهم، وهناك من ربط هذه الحياة بالأماكن، فنجد الشاعر يخلد هذا الممدوح بشعره أو بنثره، فيربطه بمجسم مكاني، ويجعله رمزًا للخلود في ذهنه، وفي ذهن من يستمع لأدبه وفنه، ولعل هذه الفلسفة تظهر عند "ليلى الأخيلية" في رثاء "توبة بن الحمير الخفاجي" في قولها:

نظرْتُ ودُوني من عماية مَنْكِبٌ وبطْنُ الرَّكاءِ أيُّ نظرةِ ناظِرِ[1]

لأونسَ إنْ لمْ يقصرِ الطرفُ دونهم فلمْ تقْصرِ الأخبارُ والطرفُ قاصري[2]

---

(١) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، م١، ص ٢٤٢. وفي الديوان:

نظرت وركنٌ من ذقانين دونه مفاوز حوضى أي نظرة ناظر

ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ٥٠.

(٢) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م١، ص ٢٤٢، وينظر: ليلى الأخيلية، الديوان، مرجع سابق، ص ٥٠.

عندما ننظر –في هذين البيتين اللذين استهلت بهما (ليلى) رثائيتها لتوبة– نجد أن هناك فلسفة عميقة تقوم على المواساة في الربط بين مفقود رحل عن الدنيا وبين حاضر باقٍ، فتوبة وإن رحل بجسمه؛ فأفعاله وأمجاده كبيرة باقية، فكأن الشاعرة تقول: لو قصرت نظرتي أو نظرة أي شخص عن "عماية" وبطن الركاء، فإن صورة "عماية" وبطن الركاء موجودة في مخيلتي، ولن تتغير؛ فقيمة الجبل وكبره وشكله بارز وظاهر؛ حتى إن حال دونه "منكب"، أي: ما ارتفع وبرز من الجبال أو غيرها، فكأن "ليلى" تقول لو حال هذا المنكب، أي: هذا الموت عن "عماية" وبطن الركاء، أي: عن بقاء "توبة" فلن ننسى أفعاله ومقامه، مثل عدم نسياننا شكل "عماية" وبطن الركاء، فجعلت الشاعرةُ المتوفى باقٍ مثل جبل "عماية"، وشبهت الموت بالمنكب الذي حال دون جبل "عماية"، وفي ذلك مواساة ورفع للمعنويات وتسلية للنفس بالبقاء والدوام، وأن الفناء أصبح جزئيًّا وغيابًا مؤقتًا، وبهذه النظرة عكست "صورة المتوفى" بالدوام والحياة، وأن المرثي كان في غيابه مؤقت، وهذا عكس رثاء الشعراء المباشرين في رثائهم؛ حيث جعلت الأمر جزءًا من كل، وما فُقد هو الجزء، وذلك بجعلها الأخبار باقية وكذا الأفعال، وأن ما ذهب هو مثل قصور الطرف فقط، أي: أنها لا تراه فقط، لكنه موجود بسيرته الطيبة وأفعاله الخالدة.

ويقول "قيس بن حدادية":

فَلَيتَ المَنايا صَبَّحَتني غُدَيَّةً بِذَبْحٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لِبَينٍ مُنادِيا

نَظَرْتُ وَدوني يَذْبُلٌ وَعمايةٌ إِلى آلِ نُعْمٍ مَنْظَرًا مُتَنائِيا[1]

فنجده يتمنى الموت بسبب ما يلاقيه من بُعْدِ وهجر محبوبته، وهنا

(١) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م ١٤، ص ١٠١.

أصبحت المنية أهون من هذا الهجر الذي يلاقيه، ويصور جبلي يذبل و"عماية" كأنهما اللذان منعاه من رؤية محبوبتة؛ وذلك لكبرهما وسد الأفق عن رؤياها، وهنا يظهر البعد وكبر الحجم، بدخول فلسفة النظرة إلى المكان، في تلاقيها مع نظرة "ليلى الأخيلية" في المكان والموت.

وعلى هذا النحو يقول "القاسم بن هُتِيْمِل":

فيا لائِمي في زَفْرَةٍ حَنيَتْ[1]بها ضُلوعي على جَمْرِ الغَضا المتَسَعِّرِ

أرِحْني فَما صَدْري بهضْب عماية فأسْلُو: ولا قَلْبي صَفاءَ المُشَقَّر[2]

يرسم "ابن هتيمل" صورة حزنه بتجسيدٍ تصويريٍّ حواري، فيخاطب معاتبًا لائمه على هذه الزفرة التي حنيت بين ضلوعه، وكأنه على جمر الغضا المستعر، وقد عرف عن جمر الغضا سرعة الاشتعال وشدة حرارته التي يفوق بها أنواع الحطب الأخرى وبقاء حرارته مدة طويلة، ويطلب إلى اللائم أن يريحه فلا يلومه، فهو إنسان لا بد من أن يعاني، مبررًا له ذلك بأن صدره لا يشبه جبل "عماية" وقلبه ليس مثل صخور المشقر كي يسلو، وهنا برز الحوار بين الشاعر واللائم الذي وجّه إليه اللوم بعد الزفرة التي انحنت بها ضلوعه، فشخّص الضلوع وجعلها تنحني على النار بسبب زفرة أطلقها الشاعر.

---

(١) حَنَى العودَ وغيرَه، حَنْيًا، وحِنايَةً: ثَناهُ، ويَدَ الرَّجُلِ لواها، أَحْنَى عليه: حَنَا، انْحَنَى انْعَطَفَ، تَحَنَّى على فلانٍ: تعطّفَ وتحنَّن. انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص١٧٦.

(٢) القاسم بن علي بن هتيمل، ديوان هتيمل دراسة وتحليل، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، مرجع سابق، ص ١١٧.

وقد امتزجت المعنويات بالمحسوسات في رسم الحزن بتداخلات تصويرية، إذ نجد الصدر والقلب والضلوع، وهي قالب الصورة لا تتحمل الزفرة التي انحنت بها الضلوع؛ حتى صارت كأنها تلتهب على جمر الغضا، فيطلب الشاعر التخفيف على القلب والصدر كي يسلو ويرتاح، وذلك في دلالات لفظية موحية لرمزية الحزن وعلاقته بالحياة:

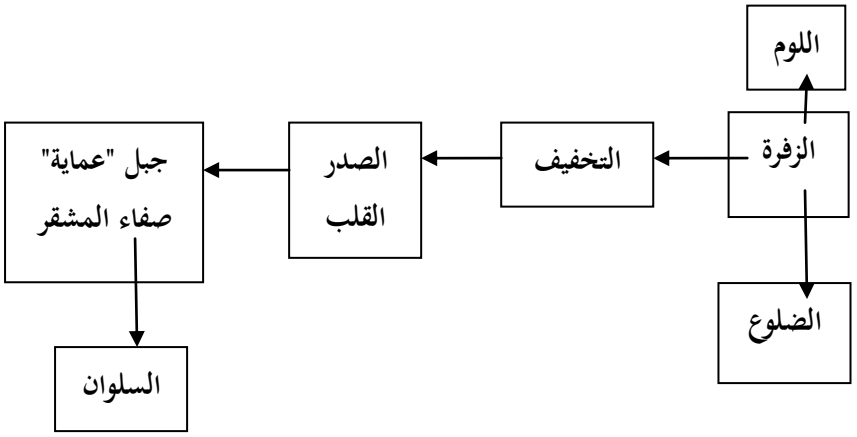

وقد يدخل تحت هذه الفلسفة رثاء "أبي تمام" في ابني عبد الله بن طاهر وكانا صغيرين:

حِقْفانِ هالَهُما القَضاءُ وَغادَرا قُلَلاً لَنا دونَ السَماءِ قَواعِلا

رَضوى وَقُدسَ وَيَذبُلاً وَعمايةً وَيَرمرَماً وَمُتالِعًا وَمُواسِلا [1]

يستخدم الشاعر التخفيف وتيسير الخطب على سبيل التعزية في قوله: (حقفان)، وذلك بالإيمان بالقضاء في رحيلهم باستخدام لفظة: (وغادرا)، ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر مكانتهم فهم يشبهان القلل المرتفعة من الجبال،

(١) أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، م٤، ص ١١٦، ١١٧.

وذلك بين إخوتهم (القواعل)مشبهًا المتوفيْن والأحياء من إخوتهم بعدد الجبال، ومنها جبل ("عماية")، وذلك في الطول والبقاء، حتى إن رحلوا، فأفعالهم تشبه هذه الجبال الشواهق التي تعد ("عماية") واحدة منها.

تشبيه الجيوش بـ"عماية"

شبه الشعراء الجيوش –سواءً أكانت جيوشهم وكتائبهم، أم جيوش ممدوحيهم وكتائبهم – بعماية بعظمة وقوة هذا الجبل، إن لم تكن أقوى منه، كما جاء في قول "مالك بن زغبة زرعة الباهلي" في يوم الكوم الذي شهده مع قومه؛ حيث قال:

فَـدَعْ ذا وَلكـنْ هَـلْ أَتاهـا مُغارُنـا ... بِذات العَراقي يومَ جاءَ[1]نَذيرُها

بِملْمومَـةٍ شَـهْباءَ لَـو درسـوا بهـا[2] ... عماية أَو دَمخًا لَحالَت[3]صخورُها

فـدارتْ رحانـا، سـاعةً، ورحـاهُمُ ... نُـثَلِّمُ، مـن حافاتِهـا ونُـدِيرُها[4]

نجد الشاعر ينتقل من المقدمة الغزلية إلى ذكر ذلك اليوم في وصفه مبتدئًا بكتيبة قومه التي شبهها بالداهية من كبرها وقوتها، وأطلق عليها صفات الالتمام بقوله: (ملمومة)، وهنا رمزُ القوة، ووصفُ لَمَعَانِ بريقِ سيوفها ورماحها

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب: إذ أتاها.

(٢) في منتهى الطلب من أشعار العرب: لو نطحوا بها.

(٣) في منتهى الطلب من أشعار العرب: لزالت.

(٤) الأخفش الأصغر (ت: ٣١٥هـ)، كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ، ص ٣١٤، وينظر: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٨، ص ٣٩٤.

بشهباء، ثم شبه قوة كتيبتهم بصورة بصرية حركية في تحريك صخور جبلي "عماية" و" دمخ" إذا ضربت بها هذه الكتيبة، وهنا رمز واضح أيضًا لقوة قومه في هذه الكتيبة التي أثبت فيها قوة العدو؛ حيث شبهه بجبلي "عماية" ودمخ لكبره، لكن قوة قومه أزالت هذه القوة وحَرّكتها.

ويقول "سلامة بن جندل" في مدح "النعمان بن المنذر" ووصف جيشه:

لَهُ فَخْمَةٌ ذَفْراءُ تَنْفي عَدُوَّهُ كَمَنكِبِ ضاحٍ مِن "عماية" مُشرِقِ[1]

يصف "ابن جندل" كتيبة "النعمان" –المدعمة بالقوة الحديدية في فخامتها وضخامتها وكبرها، وقدرتها على إبعاد العدو وطرده– بمنكب "عماية" من الشرق، فكأنه يشبه جيش النعمان بجبل "عماية" في كبره وقوته، ولكن بريق السيوف ورماح هذا الجيش يشبه بريق ركن "عماية" في الضحى، وذلك من الشرق، وهذه دلالة تبدو من تصوير واقعي عن معرفة

(١) سلامة بن جندل، الديوان، صنعة: محمد بن الحسن الأحول، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص ١٨٤، وينظر: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي(ت: ٢١٦)، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمود شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٣، ص ١٣٧، وينظر: الأصمعيات، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

ورد الشطر الأول في وصف الدرع بقوله:

مداخلةٌ من نسج داود سكها كَمَنكِبِ ضاحٍ مِن "عماية" مُشرِقِ

وذلك في كتاب "نقد الشعر" لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣٠، وفي كتاب: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م١، ص ١٨١.

حقيقية من الشاعر بجبل "عماية"، فكأنه يصف لَمَعَانَ ركنِ "عماية" في الضحى، وهذا الوصف نجده ملامسًا الحقيقة، حيث نرى لـ"عماية" بريقًا من الشرق، لطبيعة تضاريسها اللامعة وصلابة صخورها وقوتها المتعالية في كبرها، كذلك نجد في تشبيه "الفرزدق" الجيش أيضًا بركني عمايتين، وذلك بالارتفاع من الشرق وخصوصًا الركن الشرقي الجنوبي من "عماية" الشمالية وهو ما يسمى (راس مخيط– الشويمة)، وكذلك الجهة الشرقية من "عماية" الجنوبية، فنرى هذين الجانبين من أرفع ما في عمايتين إذا كنت منهما شرقًا، وذلك من حيث الكبر والعلو والارتفاع. يقول "الفرزدق"[1] لجرير:

بَـيِّنْ إذا نَزَلَـتْ عَلَيـكَ مُجاشِـعٌ أَو نَهْشَـلٌ تِلعـاتكُمْ مـا تَصْـنَعُ

فـي جَحْفَـلٍ لَجِـبٍ كَـأَنَّ زُهـاءَهُ شَـرْقِيُّ رُكْـنِ عَمـايَتَينِ الأَرْفَـعُ[2]

فشبه الجيش –في جمعه وكثرته– بجبلي عمايتين في انبساطهما وسعتهما وارتفاعهما ولمعان ركنيهما من الشرق، للدالة على القوة والعلو، بالإضافة إلى الربط بين لمعان بيض الجيش بلمعان الجبلين حينما تشرق عليهما الشمس.

وهذا "الراعي النميري" يشبه قوة قومه بركن فاخر يتباهى بمحاسنه،

(١) هو همام بن غالب بن صعصعه التميمي الدارمي الشهير بالفردزق، شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، وكان أبوه من الأجواد الأشراف، وكذلك جده، لقب بالفرزدق؛ لجهامة وجهه وغلظه، توفي عام ١١٠هـ في بادية البصرة، وقد قارب المئة، له ديوان مطبوع. (الأعلام للزركلي، م٨، ص ٩٣).

(٢) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٥، ص ٤٠٠.

وهذا الركن هو ركن "عماية" المعروف بالارتفاع والقوة، فيقول:

كَأَنَّ بَقايا الجَيشِ جَيشِ اِبنِ باعِجٍ أَطافَ بِرُكنٍ مِن "عماية" فاخِرِ[1]

فالراعي يقارن هنا بين كتيبة قومه وجيش عدوه "ابن باعج"، وقد شبه قومه بركن من أركان "عماية"، حيث نجد "مِنْ" للتبعيض تدل على واحد من أركان "عماية"، ولكنه فاخر، أي: مرتفع عظيم قوي، وجعل بقايا جيش "ابن باعج" يطوف به، وهنا دلالة على قتل معظم جيش "ابن باعج"، ودلالة على صمود قومه وضعف المقابل، حيث أصبح قليلًا من كثرة ما أوقع به قومه، وهنا رمز للانتصار.

أما "ابن هانئ الأندلسي" فيقول في مدح الخليفة "المعز لدين الله" في قصيدته التي بعث بها إليه بالقاهرة، في وصف الجيش الذي يشبه أركانه بـ"عماية" ويذبل:

ومُضْـرَمَةِ الأنفـاسِ جَمْـرٌ وطيسُـها شَـرَنْبَثَةِ الكَفّـينِ فـاغرةِ الفَـم
ضَـرُوسٍ لهـا أبْنـاءُ صـدْقٍ تَحُثُّهَـا فمِـنْ خـادِرٍ وَرْدٍ وأشْـجَعَ أيْهَـم
رَدَدْتَ رِماحَيْهَـا بـأوّلِ لحْظَـةٍ وزعْزَعْـتَ رُكْنَيْهـا بـأوّلِ مَقْـدَم
وأرْعَـنَ يحْمُـوم كـأنّ أديمَـهُ إذا شُرِعَتْ أرماحُهُ ظَهرُ شَيهَم
هَريتُ شُدوق الأُسْدِ يُطوَى عجاجه على عَنْقَفيرٍ يأكلُ الناسَ صَيلَم
فأركانُـهُ مِـن يـذْبُلٍ و"عمايـة" وأعْلامُـهُ مِـن أعفُـرٍ ويَلَملَـم
إذا أخـذَتْ أعلامُـه صَـدْرَ مِقْنَـبٍ رأيتَ شَرَورى تحتَ نخلٍ مكَمَّم

(١) الراعي النميري، الديوان، تحقيق: راينهرت قابيرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م، ص ١٣٢.

أُسِفَّ عليهِ المِسكُ والنَّقْعُ مثلما أُسِفَّ نَؤورٌ فوقَ جِلْدٍ مُوَشَّم
يسيرُ رُوَيْداً في الوَغى وحَديدُهُ يسيلُ ذُعافاً وهْوَ غَيرُ مُسَمَّم
فما تَنْطِقُ الأرماحُ غيرَ تَصَلْصُلٍ ولا تَرْجِعُ الأبْطالُ غيرَ تَغَمْغُم
فيَملأ سَمْعًا من رواعِدَ رُجَّفٍ ويملأ عَيْنًا من بوارِقَ ضُرَّم[1]

يصف "ابن هانئ الأندلسي" جيش المعز لدين الله الفاطمي بالقوة والشجاعة في الحروب، مؤكدًا قوة أركان هذا الجيش بتشبيهها بقوة أركان جبلي يذبل و"عماية"، مستخدمًا عبر القصيدة صورًا فنية بديعية، وتعبيرات بارعة، فهو يصف حديد الجيش–على سبيل المثال– بأنه يسيل على الأعداء سُمًّا ناقعًا، بالرغم من أنه ليس مُسَمَّمًا، وغير ذلك من الصور الفنية الأخاذة، ويُسمع الصليل من أسلحته والصدى غمغمة أبطاله، فتملأ المسامع رعود الرجف، وتملأ البصر بروقه النارية.

وقد حضر جبل "عماية" في القصائد التي تناولت الحرب مرتبطًا بالمدح وحماية الجار، مثال ذلك قول"مضرس بن دومي النهدي":

إذا الحربُ شالتْ لاقحًا وتَحدَّمَتْ رأيتَ وجوهَ الأزدِ فيها تَهَلَّلُ
حياءً وحفظاً واصطبارًا وإنَّهمْ لها خُلِقُوا والصبر للموتِ أجملُ
وهمْ يضْمنونَ الجارَ من كلِّ حادثٍ ويمْشُون مشْيَ الأُسْدِ حينَ تَبَسَّلُ
يُرى جارُهمْ فيهمْ منيعاً مكرَّمًا على كلِّ ما حالٍ يُحَبُّ ويوصَلُ

(١) زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ، ص ٦٧٦، ٦٧٩.

إذا سِيمَ جارُ القومِ خَسْفاً فجارُهم عزيـزٌ حِمـاهُ فـي "عمايـة" يعقِـلُ[١]

جمع مضرس النهدي هنا بين وصف الحرب ومديح قبيلته الأزد وحماية الجار، فقال: إذا اشتعلت الحرب، واشتدت، وحمي وطيسها وجدتَ وجوه الأزد متهللة بالحياء والحفظ والصبر؛ فإنهم خُلقوا للحرب، يُقْبِلُونَ عليها صابرين، يطلبون الشهادة مدركين أن الموت أجمل في سبيل تحقيق النصر على الأعداء.

وهم يؤمّنون من يجيرونه، ويحققون له الأمان التام من كل شيء، وهم يسيرون في قوة وشجاعة مثل الأسود حين تَتَبَسَّلُ، أي: تُعَبِّسُ وجوهها تعبيسًا مخيفًا عند العرب.

وجارهم منيع لا يصل إليه أحد، ومكرَّم على كل حال يحبه، وإذا ظُلم وذل من يجيره غيرهم؟ فإن جارهم لا يدرك مثل الذي يتحصن في جبل "عماية"، واستخدام "عماية" هنا في غاية الوضوح.

وعل "عماية"

الوَعْلُ والوَعِلُ: الأُرْوِيُّ. قال ابن سيده: الوَعِل والوُعِلُ جميعاً تَيْس الجبل؛ والأَوْعالُ والوُعُول: الأَشرافُ والرؤُوس، يشبَّهون بالأَوْعال التي لا تُرى إلا في رؤوس الجبال[٢].

(١) علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي(ت: ٤١٤)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج٢، ص ١٩٠، ١٩١.

(٢) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م١١، ص ٧٣١، مادة وعل.

وقد اسْتَوْعَلتِ الأَوْعال إذا ذهبَتْ في قُلَلِ الجبال[1]؛ قال ذو الرمة:

وَلَو كَلَّمَتْ مُسْتَوعِلاً فِي عماية تَصَبّاهُ مِنْ أَعْلَى عماية قِيلُهَا[2]

يعني وَعِلاً مُسْتَوْعِلاً في قُلَّة "عماية"، وهو جبَل. والوَعْلُ: المَلْجَأُ، واسْتَوْعَل إليه. يقال: ما وَجد وَعْلاً ولا وَغْلاً يَلْجَأُ إليه[3].

وقد ربط الشعراء الوعل بـ"عماية" في مواضع كثيرة، ولعل من أهمها قول "عمر بن قميئة" من عبد القيس يذكر وعلاً:

فَلَوْ أَنَّ شَيئًا فائِتَ المَوتِ أَحرَزَتْ عمايــة إِذ راحَ الأَرَحُّ الموقِــفُ

سَــما طَرَفُــهُ وَابــيَضَّ حَتّــى كَأَنَّــهُ خَصِيٌّ جَفتْ عِندَ الرَحائِلِ أَكلُفُ[4]

يقول "ابن قميئة": لو أن الموت يفوته شيء، ويستطيع أن ينجو منه –لنجا "الوعل" المسن الذي في جبل "عماية"؛ إذ وافته المنية، ذلك الوعل الذي تفتحت أظلافه، وبه بياض في أرساغه مثل السوار، وقد سما طرفه وابيضّ من كبر سنه، حتى شبهه بالبعير الخصي الذي لا يستطيع الحمل والتنقل.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، م١١، ص ٧٣١، مادة وعل.

(٢) ذو الرمة، الديوان، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص٢٤٠، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، م١١، ص ٧٣١، مادة وعل.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، م١١، ص ٧٣١، مادة وعل.

(٤) عمرو بن قميئة، الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م، ص ٢٠٨، وينظر: ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، تصحيح: سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت، ج٤، ص ٦٩٥، ٦٩٧.

وهنا نجد الشاعر يربط بين المكان والزمن، فتظهر العلاقة في الزمن من خلال الموت والرحيل وكبر سن الوعل الذي ابيضّتْ أطرافه وأرساغه، وانفتح ظلفه، بالإضافة إلى تشبيهه بالبعير الخصي الذي لا يستطيع حمل الأثقال والتنقلات، وبين المكان الذي حدده الشاعر بجبل "عماية"، وذلك في مناعته وكبره وحمايته لهذا الوعل، حتى كبر وبلغ من السن ما بلغ، فهو قادر أن يحميه سنين أطول ووقتًا أكثر، ولكن الموت لا ينجو منه أحد؛ حيث لم ينج منه هذا الوعل الكبير والمتحصن بالمكان الآمن، ولعل العلاقة التي ربطت بين الزمن والمكان في هذا الموطن هي رسم صورة "الوعل".

وقد كان نهج "المرقش الأكبر" المعنى نفسه في رسم صورة الوعل وعلاقته المكانية بـ"عماية" والزمن بالموت، وذلك في رثاء ابن عمه "ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة" عندما قتله بنو تغلب، فقتل فيه رجلًا من تغلب يقال له "عمر بن عوف":

فاذْهَبْ فِدىً لَكَ ابْنُ عمِّكَ لا ... يَخْلُـــــدُ إلا شـــــابَةٌ وأَدَمْ
لـوْ كـانَ حـيٌّ ناجيًـا لَنَجـا ... مـن يَوْمِـهِ المُـزَلَّمُ الأَعْصَـمْ
فـي باذِخـاتٍ مِـنْ "عمايـة" أَو ... يَرْفَعُـهُ دُونَ السَّـماءِ خِـيَمْ
مِـنْ دُونـهِ بَـيْضُ الأَنُـوقِ وفَـو ... قَـهُ طوِيـلُ المَنكِبَـيْنِ أَشَـمّ
يرقـاهُ حَيْـثُ شـاءَ مِنْـهُ وإمـ ... ـا تُنْسِـهِ مَنِيَّـةٌ يَهْـرَمْ
فَغَالَـهُ رَيْـبُ الحـوادِثِ حَتْـ ... ـى زَلَّ عـن أَرْيـادِهِ فَحُطِـمْ[1]

(١) المفضليات، تحقيق: أحمد محمود شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، =

يؤكد المرقش عدم استمرار الحياة، وأن الموت لا بد منه، وليس منه منجىً، ولو كان لنجا "الوعل" الذي في يديه بياض الضامر الخفيف، الذي يعيش في الجبال الطوال الكبيرة من ""عماية" وخيم"(١)، والتي تقصر طيور الرخم عن بلوغه لطوله، فتبيض في أبعد ما تقدر عليه من الأمكنة، ولا يزال فوقها شواهق من جبل "عماية" المشرف والمرتفع، وهذا الوعل يرقى منه حيث شاء، ويتأخر موته حتى يهرم سنه، وذلك دلالة على الأمان في هذا المكان، وعلى كبر الجبل وطوله واحتوائه على الكلأ والماء، ونجد الموت يتربص به والمنية تلاحقه، والعلاقة نشأت في الربط بين الوعل وبين المكان الذي لا يؤثر فيه الزمن، فقد يُولَد وعلٌ آخر ويكبر حتى يسن في هذا الجبل، ثم توافيه المنية أيضًا.

وعلى هذا النهج يقول "الكميت بن زيد الأسدي":

فَمـــا فُـــدُرٌ عَواقِـــلُ أَحْرَزَتْهـــا عمايـــة أوْ تَضَـــمَّنَهُنَّ شِـــيْبُ(٢)

فتحدث الكميت عن علاقة الوعل بـ"عماية" ومناعتها له، "وقد أطلق العرب على الوعل العصم والجبليات، ولفت نظرهم حياتها في أعالي الجبال، وكأن العرب وجدوا في اعتصام الوعل بالجبال محاولة لمقاومة الخطر الذي يتهدده في الأودية والسهول على أيدي الناس أو نتيجة

= القاهرة، ط٦، ص٤٠٥، وينظر: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٤، ص ٦٣.

(١) خيم جزء من "عماية" الشمالية، ومن أطولها شواهق، وأكبرها أودية.

(٢) الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٢.

السيول، أو نحو ذلك، وقد اتضح هذا في وصف المطر، ذلك بأنهم إذا أرادوا وصف المطر بالشدة والغزارة ذكروا أنه أنزل العصم من الجبال"[١].

ويظهر عند "لبيد بن ربيعة العامري"[٢] وصف المطر ذاكرًا "وعل" "عماية" وعلاقته الثابتة به، من خلال عرضه المكان ووصفه السحاب، فيقول:

فَجادَ رَهوًا إِلى مَداخِلَ فَالصُّـ ـحـرَةِ أَمسَت نِعاجُهُ عُصَبا

فَحَدَّرَ العُصمَ مِن "عماية" لِلسَّـ ـهلِ وَقَضّى بِساحَةَ الأَرَبا

فَالماءُ يَجلو مُتونَهُنَّ كَما يَجلو التَلاميذُ لُؤلُؤًا قَشِبا[٣]

يصف "لبيد" كثرة هذا المطر المستمر والساكن الذي استمر على الصحراء التي تقع بين "عماية" وصاحة، حتى صارت البقر الوحشي بها قطعًا ومجموعات من استمراره وكثرته، فحدر الوعل من جبل "عماية" مارًّا بهذه الأماكن، وبات بجبل صاحة، وهذا المطر المستمر يجلو متون الوعل والنعاج مثل ما يجلو غلمان الصاغة اللؤلؤ الجديد، وذلك دلالة على كثرته واستمراره. وهنا تبرز عدة نقاط، من أهمها:

أولًا: قرب مكان "صاحة" من جبل "عماية".

---

(١) جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، مرجع سابق، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ويعد من الصحابة، (انظر: الأعلام لزركلي، ج٥، ص ٢٤٠.

(٣) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه وقدم له: إحسان عباس، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٩٦٢م، ص ٢٩، ٣٣.

ثانيًا: وجود سهل بين "عماية" و"صاحة"، وهذا السهل يمر به وادي الركاء، حيث يفصل بين "عماية" الجنوبية و"صاحة".

ثالثًا: وجود نعاج –المها–في هذه السهول بين "عماية" و"صاحة"، وبالشرق من ذلك بُرْقٌ بها رمال وأرض لينة يستوطنها البقر ويألفها.

رابعًا: تعد "عماية" موطن "الوعل" الأصلي، حيث إن "صاحة" لم تكن موطن إقامة، وإنما هي موطن حماية مؤقتة للوعل؛ حيث لم يقم بها، وإنما جعلها منطقة مرور لقضاء حاجته من المطر الذي نزل على "صاحة" حتى انقطع الماء بها.

ونجد جريرًا يربط "الوعل" بمحبوبته في تصويرٍ سمعي حركي في قوله:

يا لَيتَ شِعري يَومَ دارَةِ صُلصُلٍ أَتُريـــدُ صُـــرْمي أَم تُريـــدُ دَلالا
لَـو أَنَّ عُصـمَ عَمـايَتَينِ وَيَـذبُلٍ سَـمِعَتْ حَـديثَكِ أَنْـزَلَ الأَوعـالا[1]

وفي قوله أيضًا:

إِنَّ الفَوادِرَ لَو سَمِعنَ كَلامَها ظَلَّـتْ وُعـولُ عَمـايَتَينِ تَحَـدَّرُ[2]

نجد الشاعر يستخدم حرف "لو" المانعة في مثاليه لجواب الشرط

(١) جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، مرجع سابق، ج١ص ٥٠، ٥١، وينظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المدني بجدة، السفر الثاني، ص ٤١٥، وينظر: محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠١، ١٩٨١م، ج٣، ص ٩٠٨.

(٢) جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٨٤.

غير الثابت، وغير محققة بدخولها في الاستحالة، فكيف تسمع الأوعال حديث محبوبته؟! فلو تحقق هذا الأمر ستنزل أوعال عمايتين للسهل، وهنا كناية عن جمال حديث المحبوبة الذي ربما ربطه بهذا الصيد الجميل، وربما قصد أن من يسمع حديث حبيبته يسعى إليها ويترك مكانه الذي يحقق له الأمن والأمان في مقابل أن يستمع إليها.

وقد يظهر أمران من المثالين السابقين:

الأول: التأكيد على وجود جبليْ "عماية"، وذلك بالتثنية، وليس جبلاً واحدًا كما قال غالبية الشراح والمحققين، وفيه رد على من قال بأن عمايتين هي "عماية" و"صاحة"، وهذا غير صحيح ولا بد من أن تكون عمايتان جبلين، وبينهما طريق حجاج الأفلاج الأول الذي ذكره الهمداني في كتاب صفة الجزيرة، و"صاحة" جبل مستقل يفصل بينه وبين "عماية" الجنوبية وادي الركاء، ويطلق عليها صاحتان، أحيانًا أيضًا تثنى وتفرد، وبينهما وبين "عماية" الجنوبية طريق حجاج الأفلاج الآخر الذي ذكره الهمداني أيضًا، و"صاحة" تقع جنوبًا إلى الشرق قليلاً عن "عماية".

الثاني: نلحظ قرب عمايتين من يذبل "صبحا" حديثًا الواقع في الجهة الشمالية للغرب من "عماية" الشمالية، ويفصل بينهما وادي السرة.

لذا يؤكد المثال الأول لـ"جرير" مع قول "لبيد" أن عمايتين تقعان بين جبل صاحة وجبل يذبل، وهذا بالفعل واقع حقيقيّ؛ حيث ينتقل "وعل" "عماية" لصاحة في مثال لبيد، وينزل "وعل" يذبل مع وعل "عماية" إذا سمعا حديث محبوبة "جرير"، الذي يوحي أن دلالة المكان تكون حقيقية؛ حيث تبدو بين "عماية" ويذبل.

ونجد "أبا العلاء المعري" يقول:

وَدِدتُ بِـأَنّي فـي "عمايـة" فـارِدٌ تُعاشِـرُني الأَروى فَـأَكرَهُ قُمرَهـا

أَفِـرُّ مِـنَ الطَغـوى إِلـى كُـلِّ قَفـرَةٍ أُؤانِـسُ طَغياهـا وَآلَـفُ قُمرَهـا[1]

فالشاعر يود أن يكون في "عماية" تعاشره الوعول، ويعيش معها، ويكره الحمار الوحشي، هاربًا من ولد البقرة الوحشية إلى كل أرض جميلة خضراء، فيأنس مع بقرها، ويألف حمارها الوحشي، وهنا كان للمكان الدور الأساسي في الربط بين المعايشة والشاعر، وبعض أنواع الصيد، فنجده يألف الوعل ويتعايش معه في جبل "عماية"، ويألف ولد البقر الوحشي والحمار الوحشي ويأنس لها في كلِّ أرضٍ قفرة، عكس فراره من ولد البقرة والحمار الوحشي في "عماية" وفي الأراضي غير الخضراء، وهذا موطن أساسي لهذا الصيد، وربما استخدم العلاقة في الربط بين المكان ونوعيته، والصيد ونوعيته، رمزًا في التعبير عن حال بعض المواقف، وعدم استيعاب بعض الظروف في غير مكانها، وذلك بعلاقة مكانية زمنية، والشاعر أراد بذلك نفي عدم دوام الأمور على ما كانت عليه في السابق، فقد تستخدم الأداة في غير موضعها، والرجل يشغل مكانة وعملًا غير موهبته، فتصبح الأمور مكشوفة، وهنا تشبيه بين هذا الصيد وأماكنه على بعض مواطن الحياة.

وصف المطر في "عماية"

تناول الشعراء الحديث عن السحاب، فوصفوه، ورسموا مسيرته، وراقبوه ليلاً ونهارًا، وتناولوا مواضعه وقوته وكثرته ونوعيته ووقته، وتحدثوا عن مجاريه، وذكروا أوديته ومناهله وصفاءه، فتناولنا –في هذا المبحث– ما تناوله الشعراء برسمهم له، وتخيل صورته في الواقع، فكأن هذه الصورة

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري(ت: ٤٤٩هـ)، شرح اللزوميات، تحقيق: منير المدني، زينب القوصي، وفاء الأعصر، سيدة حامد، إشراف: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ج٢، ص ١٤٣.

بصرية ترى بالعين المباشرة، فأجادوا في إبداعهم المبنيِّ على خبراتهم الظاهرة من الواقع الحقيقي في معاصرتهم له، ولعل أبرز صورة تناولها الشعراء في وصف السحاب وهطول المطر، تبدو في قول "لبيد بن ربيعة العامري":

يـا هَـلْ تَـرى البَـرقُ بِـتُّ أَرْقُبُـهُ يُزجـــي حَبِيًّـــا إِذا خَبـــا ثَقَبـــا
قَعَـدتُ وَحـدي لَـهُ وَقـالَ أَبـو لَيلـى مَتـى يَغـتَمِن فَقَـد دَأَبـا
كَـأَنَّ فيـهِ لَمـا ارتَفَقـتُ لَـهُ رَيطـاً وَمِربـاعَ غـانِمٍ لَجِبـا[1]

فقد وصف "لبيد" قعوده وحده، ومراقبته البرق ليلًا، ومتابعته للسحاب، الذي يضئ لمعان برقه إذا سكن، فهو يسكن مرة ويضئ أخرى، ويؤكد صاحبه "أبو ليلى" أن البرق متى سكن فذلك نذير بأنه سيستطير بعد ذلك ويكثر لمعانه، ثم يشبه الشاعر هذا السحاب حينما اتكأ على مرفقيه، وركز فيه بملاحف بيض، وهنا التشبيه بالبرق، و"يشبه صوت الرعد بأصوات غنم قسمت لإعطاء رئيس القوم حصته منها، وهي إبل وغنم، وغير ذلك، ففرق بين الأمهات والأولاد، فأصبحت تصدر حنينًا، فكلٌّ يحن إلى صاحبه"[2]، وأيضًا شبهه بالجيش كثير الصوت.

وهنا ظهرت متابعة لبيد للسحاب متكررة في الأبيات الثلاثة، ففي الأول: (مراقبته ليلاً)، والثاني: قوله (قعدت وحدي له)، وفي الثالث: قوله (لما ارتفقت له)؛ لذا ظهرت دلالات لفظية إيحائية تعكس المعنى ففي البيت الأول يراقب السحاب من بعد، وفي الثاني يظهر بداية قرب

(١) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، دار صادر، بيروت، ص ٢٢، وينظر: لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوان، مرجع سابق، ص ٢٩، ٣٠.
(٢) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، مرجع سابق، ص ٢٢.

السحاب له والتأكد على كثرته، وفي البيت الثالث ظهرت المتابعة القريبة؛ حيث بدأ يسمع صوت الرعد ويصور البرق بين أعطاف السحاب، ثم ينتقل الشاعر إلى رسم وصف هذا المطر في قوله:

فَجـادَ رَهـوًا إِلـى مَـداخِلَ فَالصـ ـحـرَةِ أَمسَـت نِعاجُـهُ عُصَـبا

فَحَـدَّرَ العُصـمَ مِـن "عمايـة" لِلسـ ـهـلِ وَقَضّـى بِصـاحَةَ الأَرَبـا

فَالمـاءُ يَجلـو مُتـونَهُنَّ كَمـا يَجلـو التَلاميـذُ لُؤلُـؤًا قَشِـبا[1]

هنا نجد المطر غزيرًا ساكنًا مستمرًا على "عماية" نفسها، وعلى "عماية" و"صاحة" –أيضًا– التي تقع جنوبًا للشرق قليلاً من "عماية"، حيث نجد الوعل ينزل للسهل الذي يقع –تقريبًا– بين "عماية" الجنوبية و"صاحة"، حيث ربط الشاعر الوعل بالسهل وبذهابه لصاحة، والدال على هطول المطر المستمر على هذه المنطقة التي يمر بها الوعل، حيث جلا المطر متون الوعل حتى أصبحت لماعة، وهنا تحديد للسهل الذي مر به المطر في الحديث عن الوعل، وهو ما بين "عماية" الجنوبية و"صاحة" التي تناولناها في حديثنا في المبحث الخاص بالوعل، أما حديث الشاعر عن الصحراء فقد شمل جميع صحراء "عماية"، وخصوصًا التي بها كثبان رملية وبرق، يستوطنها البقر الوحشي، حيث أصبح قِطَعًا وجماعات من كثرة المطر، ويؤكد امرؤ القيس على وجود النعاج (المها)[2]، في صحراء عمايتين

(١) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣، وينظر: لبيد بن ربيعة العامري، شرح الديوان، مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١.

(٢) البقرة الوحشية والبقر الوحشي والثور والنعاج كلها تطلق على المها، وقد تناولنا ذلك في دراسة =

بالإضافة إلى الأطيط وصاحة والهضب في قوله:

لمَـنِ الـدّيارُ غَشِـيتُها بسُـحَامِ فَعَمـايَتَيْن فهَضْـبِ ذي أَقْـدامِ

فصَفَا الأَطِيط[١]فَصاحَتين فغاضرٍ تمشِـى النِّعـاجُ بهـا مـع الأَرْآمِ[٢]

ثم ينتقل لبيد العامري في وصف سيل الأودية بقوله:

لاقـى البَـدِيُّ الكِـلابَ فَاِعتَلَجـا مَـوجُ أَتِيَّيهِمـا لِمَـن غَلَبـا

فَدَعـدَعا سُـرَّةَ الرَكـاءِ كَمـا دَعـدَعَ سـاقي الأَعـاجِمِ الغَرَبـا

فَكُـلُّ وادٍ هَـدت حَوالِبُـهُ يَقـذِفُ خُضـرَ الـدَباءِ فَالخُشُـبا

مالَـت بِـهِ نَحوَهـا الجَنـوبُ مَعـاً ثُـمَّ اِزدَهَتـهُ الشَـمالُ فَانقَلَبـا[٣]

يصف لبيد التقاء سيل وادي البدي[٤] مع وادي الكلاب[٥] وأن الغلبة –حينئذٍ– لمن كَثُر سيله من الواديين، ثم تمتلئ بطن الركاء من وسطه

= بعنوان: "المها في حومل عند الشعراء –دراسة تحليلية، نُشرت في مجلة "جذور"، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، عدد ٤٣، رجب ١٤٣٧هـ، إبريل ٢٠١٦م، ص٤٨، ٤٩.

(١) يبدو أن صفا الأطيط قريب من وادي الركاء، ومن السوادة (عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، مرجع سابق، ج١، ص٩٠).

(٢) امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ص١١٤.

(٣) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، مرجع سابق، ص ٢٣، وينظر: لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوان، مرجع سابق، ص ٣١، ٣٢.

(٤) البدي هو وادي (جاحد).

(٥) وادي الكلاب يقصد بها أودية العريف الشمالية التي تصب في الركاء، ونسب ذلك لبني كلاب الذي تسكنه في تلك الفترة، وتفصيل الحديث عن ذلك سيكون في ملحق للبحث بعنوان مواطن "عماية" التي ذكرت عند المؤرخين والكتاب، وربما في بحث مستقل.

حتى معظمه، وربما قصد هنا اجتماع وادي السرة مع وادي الركاء؛ حيث يستمر للوادي اسم وادي الركاء، ويشمل اسم الواديين بعدما يلتقيان شرقًا من عمايتين، فيقول الشاعر (فدعدعا سرة الركاء) أي بطنه بعد اجتماعه مع وادي السرة، ويشبههما بامتلاء الغرب، وهي الأداة الجلدية الكبيرة التي يسقى بها الزرع، ثم ينتقل الشاعر إلى وصف جميع الأودية التي تسيل في الواديين السرة والركاء بقوله: (كل وادٍ هدت حوالبه)، أي: سال بأكمله ومع جميع جوانبه، ثم يصور ما يجري به الوادي من قوة مائه وسرعته، وذلك بتصويره لفظة (القذف) الدالة على السرعة والقوة، حيث شمل (القرع) والخشب، وهذا ما يحصل عند جريان أودية عمايتين، ثم ينتقل الشاعر في وصف سحابته ورسم مسارها، وكيف اجتمعت السحب وتحول مسارها، حيث أصاب الأعراض التي مضى عليها أعوام وهي ممحلة.

وهذا "أبو حية النميري"[1] يصف برد ماء خيم، وسحابة صيف "عماية" بقوله:

وقالَ ببطْنِ عاجنةٍ رفيقي وعيناهُ بأربعةٍ سِجامِ

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمر بن عامر بن صعصعة، أبو حية، شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره، وقيل في وصفه: كان أهوج (به لوثة) جبانًا بخيلاً كذابًا، له سيف ليس بينه وبين الخشب فرق يسميه "لعاب المنية"، وقيل: مات في آخر خلافة المنصور سنة ١٥٨هـ، وقال البغدادي: توفي سنة ١٨٣هـ. (الأعلام للزركلي، م ٨، ص ١٠٣/ ١٠٤، وينظر: أبو حية، شعر أبي حية النميري، تحقيق: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٧).

رأى المَوماةَ تَـذْرَعُها المَهـارى بـهِ والسِّـفْرَ منْقطـعَ الخِطـامِ
فقـدْ قلقـتْ سَـفائفُ مُـدْرَجاتٌ كـأنَّ جُرومَهـا أرْمـاثُ قـام
أجِـدَّكَ مـا تـذكّرُ بـردَ خـيمٍ بـأبْطحَ مُسْـهِلٍ كِفَـفَ الشُّـمامِ
ولا البقـرُ الـذي قُصـرتْ عليـهِ حِجـالُ الأرمنيّـةِ فـي الخيـامِ
لهـنَّ مـنَ الأراكِ مُضـرّجاتٌ وممّـا اختـزْنَ مـن قُضُـبِ البَشـامِ
يمحـنَ بـهِ ذُرى بـرَدٍ تـداعى بـهِ المـتَهلِّلات مـنَ الغمـامِ
عشـيّةَ صـيفٍ وتَضـمَّنتْهُ رِهـاءٌ مـن "عمايـة" أو حـوامي
فـذكَّرَني ليـاليَ صـالحاتٍ فأعْـداني بنُصْـبٍ واحتِمـامِ[1]

والنميري يخاطب صاحبه بعد مقدمته الطللية، ثم الغزلية التي انتقل منها في هذا البيت الذي بدأه بحوار صاحبه له، واصفًا ذلك وهو في بطن الرحلة ووسطها، وعيناه تذرفان الدمع، وذلك بوصفه في قوله: (وعيناه بأربعة سجام)، ولا تزال هذه المقولة تقال في أوساط "نجد" بنفس المعنى في هذا الوقت، وذلك بمشابهة لها وإن تغيرت قليلاً، فيقولون لمن فقد محبوبته أو منع من زواجها: (عيونه أربع أربع)، أي: تسكب الدمع باستمرار، ومعلوم أن النميري عاش في أوساط نجد إلى العالية، يستمر النميري في وصف حال رحلته وصعوبة مشاقها، فيقول: إن صاحبه لما رأى سرعة ناقتهم وهما في وسط الفلاة الواسعة التي ليس بها ماءٌ ولا أنيس، وسفائف ناقته مضطربة لا تثبت من سرعتها، وهزالها الذي لازمها من طول الطريق، قال: ما تتذكر برد

(١) أبو حية النميري، الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٩٣، ٩٤.

ماء "خيم" بمسيل واديها المنبطح العريض الواسع الذي يجري في سهلها ويدخل تحت مستدير الثمام، وهنا دلالة على جريان مياه وادي خيم؛ حيث يظهر من قول "النميري" أن هذا الماء يجري على مهل، فهو بارد وجريانه ليس سريعًا، وهنا دلالة أيضًا على الاستمرار والدوام، وهذا بالفعل ما قد عُرف عن وادي "خيم" منذُ القدم حتى الحاضر، ووادي "خيم" جزء من "عماية"، وقد تم التعريف بذلك.

يكرر "النميري" –على صاحبه– ذكريات النساء الجميلات اللاتي نصبت لهن خيام وقباب العُرْس، ويشبههن بالبقر الوحشي لجمالهن، ثم يذكر رائحة طيبهن التي تشبه رائحة الأراك وقصب الشام، الذي يتسوكن به في تنظيف أسنانهن التي شبهها بالبرد الذي يسقط من سحابة صيف أمطرت على أعلى جبال "عماية" وعمّت معظمه، وهنا نجد رَبْط براد مياه "خيم"، والعلاقة بينه وبين "عماية" الذي ينطلق من الجهة الجنوبية الشرقية من "عماية" الشمالية، ثم يتجه للشرق حتى يعارض وادي السرة.

كما نجد وصف سحابة الصيف التي هطلت وأمطرت على أعلى جبل "عماية" وعمّت معظمه، وذلك ببرقها المتهلل وبَرَدِهَا الأبيض النقي الذي شُبِّهت به الأسنان في حجمه ولونه، فهو عذب بارد يداوي الأسقام، وذلك في ربطه بالصيف؛ لجمال لذته ونظرته، إنما شبه هذا البَرَدَ في سحابة الصيف؛ لأن أمطارها عُرفت بسرعة الهطول، ونجد في ربطه بالمكان/ "عماية" غرضين: أحدهما: ربما لأن محبوبته فيها؛ حيث تذكر براد وادي خيم وجلوسهما به، والآخر: عظم هذا الجبل وكبره مما أكد على صفاء البرد ونقائه في تشبيه أسنان محبوبته في إصابة المطر على أعلى

الجبل وعلى معظمه.

ونجد البكاء والعلاقة بين الدمع والمطر تتكرر عند "ابن سنان الخفاجي"، ولكنها هنا جاءت رثاءً في "أبي العلاء صاعد بن عيسى الكاتب" (ت: ٤٥٦هـ) بقوله:

سَقاكَ وَقَدْ أَغنى عَنِ الغَيثِ مُزنَةٌ ... مِنَ الدَّمْعِ تَهْمي في مَصيفٍ وَمَربَعِ

سَحاب تُرَجِّيهِ الصَّبا وَكَأَنَّما ... يَمُدُّ بِطَودٍ مِن "عماية" أَتلَعِ

يُفَوّقُ أَبرادَ الرِّياضِ وَبَرقُهُ ... يَشُقُّ جَلابيبَ الظَّلام المُوَشَّعِ

كَأَنَّ حَنينَ الرَّعدِ في حُجُراتِهِ ... حُداء مَهيبٍ بِالرِّكابِ مُزَعزَعِ

لَهُ زَجَلٌ يَروي النَّسيمُ وَراءَهُ ... أَحاديثَ نَشرِ الرَّوضَةِ المُتَضَوِّعِ

وَقَد جَلَّ قَدرُ الماء إِن كانَ حافِظًا ... مَوَدَّةَ ثاوٍ في التُّرابِ مُضَيَّعِ[1]

يدعو ابن سنان الخفاجي لمرثيه أن يسقي قبره السحاب الذي تسوقه رياح الصَّبا برفق تمده غمامة كثيفة من غمام جبال "عماية"، وإن كان دمعه أغنى عن الغيث، وفي ذلك كناية عن الحزن وكثرة البكاء على مرثيه الذي شبهه بكثرة ماء السحاب، وهنا مبالغة، ثم نجد الشاعر يواصل وصف السحابة بشدة بردها التي تفوّق على برد الرياض، وبرقها الذي شق الظلام، وصوت رعدها المزجي، وذلك لكثرة مائها الذي يُسقي به قبر صاحبه،

(١) عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين الخفاجي (٤٢٢-٤٦٦هـ)، ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق: مختار الأحمدي نويوات، ونشيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

فتُخَفَّفُ عنه الحرارة ببراد الماء والثرى؛ فينبت الروض ويفوح نشر المسك من الورود والأزهار.

ويقول "ظهير بن عامر الأسدي" في سيل "عماية" وأوديتها:

عَفا أَبْرَقُ الهَيْجِ الذي شَحَنَتْ به نَواصِفُ من أَعلى عماية تَدْفَعُ[1]

يذكر الشاعر خُلُوَّ هذه البرقاء من الناس، التي تُعد من مواطن النعاج في "عماية"، حيث ذكر قربها من "عماية"، فسيل "عماية" يصب في أوديتها، ويملأ أواسطها وجوانبها، وبرق "عماية" كثيرة، ومنها أبرق الهيج الذي ربما يقصد به الشاعر (برقا الفواد)، وهو يقع غربًا للجنوب من "عماية" الشمالية بالقرب من قرية طريف، وتصب فيه أودية من "عماية" الجنوبية.

مشاهد من "عماية"

يتناول هذا المبحث مشاهد من "عماية" واصفًا أجزاءً جغرافية وصفات بيئية من نبات وحيوان وطبيعة، وقد نستخرج هذه الصفات التي وظفها الشعراء في "عماية" تحت هذا الباب، مع أن هناك تداخلات في هذا الجانب مع غالبية المباحث السابقة، وربما فصَّلنا فيها عند تناولها محاولين ألا نتجاوز شيئًا من ذلك. . وفي هذا المبحث سنتناول ما وظفه الشعراء من الصفات الجغرافية والبيئية، في نماذج مختارة، منها ما قاله "امرؤ القيس"[2]:

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، م١، ص ٦٩.

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندي، مولده بنجد، اشتهر بلقبه، وكان أبوه ملك أسد =

بِأَدمـاءَ حُرجـوجٍ كَـأَنَّ قُتودَهـا عَلى أَبلَقِ الكَشحَينِ لَيسَ بِمُغرِبِ
يُغَرِّدُ بِالأَسحارِ في كُلِّ سَدفَةٍ تَغَـرُّدَ مَيّـاحِ النَـدامى المُطَـرَّبِ
أَقَبّ رَباعٍ مِن حَميرِ "عماية" يَمُجُّ لِعاعَ البَقلِ فـي كُـلِّ مَشرَبِ
بِمَحنِيَّةٍ قَـد آزَرَ الضـالُ نَبتَهـا مَجِـرَّ جُيـوشٍ غـانِمينَ وَخُيَّـبِ[1]

ويقول "الراعي النميري"[2] في قصيدته التي مدح فيها عبد الملك بن مروان وشكاه السعاة:

كَلَّفـتُ مَجْهولَهـا نوقـاً يَمانِيَـةً إِذا الحُداةُ عَلى أَكسائِها حَفَدوا
حُسـبَ الجَمـاجِمِ أَشـباهًا مُـذَكَّرَةً كَأَنَّهـا دُمُـكٌ شـيزِيَّةٌ جُـدُدُ

= وغطفان، قال الشعر وهو غلام، فجعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فنهض وأخذ ثأر أبيه من بني أسد، وكانت فارس ساخطة على أبيه، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فلجأ إلى السموأل أمير تيماء، ولجأ ثم أودع رهائنه عنده، وذهب يستعين بالروم على الفرس، فقصد إلى قيصر الروم في القسطنطينية، فوعده ومطله، فظهرت به قروح ومات بأنقره، وقيل: مسمومًا عام ٥٤٥م قبل الهجرة بثمانين سنة، وهو صاحب المعلقة المشهورة"قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل". (الأعلام للزركلي، م ٢، ص ١١).

(١) امرؤ القيس، الديوان، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، من بني عامر بن صعصعة، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وقيل كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة، عاصر جريرًا والفرزدق، وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاءً مرًا، كان أعور، توفي حوالي (٩٠هـ)، له ديوان شعر مطبوع. (الأعلام للزركلي، م٤، ص ١٨٨، ١٨٩، وينظر: الراعي النميري، الديوان، مرجع سابق، ص ي، ك).

قـامَ السُـقاة فَناطوهـا إلـى خُشُـبٍ عَلـى كُبـابٍ وَحَـومٍ خـامِسٌ يَـرِدُ
ذَوُو جَـــآجِئَ مُبتَـــلٌّ مَـــآزِرُهُم بَـينَ المَرافِـقِ فـي أَيـديهِمُ حَـرَدُ
أَو رَعلَـةٌ مِـن قَطـا فَيحـانَ حَلَّأَهـا عَـن مـاءِ يَثْبَـرَةَ الشُّـبّاكُ وَالرَصَـدُ
تَنْجـو بِهِـنَّ مِـنَ الكُـدرِيِّ جانِيَـةٌ بِالرَّوضِ رَوْضِ عَمايـاتٍ لَهـا وَلَـدُ
لَمّـــا تَخَلَّـــسَ أَنْفاسًـــا قَرائِنُهـــا مِنْ غَمْرِ سَلْمى دَعاها تَوأَمٌ قَرِدُ
تَهـوي لَـهُ بِشُـعَيبٍ غَيـرِ مُعْصَـمَةٍ مُنْغَلَّـةٍ دونَهـا الأَحْشـاءُ وَالكَبِـدُ
دونَ السَماءِ وَفَوقَ الأَرْضِ مَسْلَكُها تيـــةٌ نَفـــانِفُ لا بَحْـــرٌ وَلا بَلَـــدُ
تَطـاوَلَ اللَيـلُ مِـن هَـمٍّ تَضَـيَّفَني دونَ الأَصـارِمِ لَم يَعْشُرْ بِهِ أَحَدُ[1]

يقول "عمر بن لجأ التيمي" في هجاء "جرير" واصفًا جفرًا بـ"عماية" ومشبهًا به:

هَريتـا كَجَفـرٍ مِـن عمايـة آجِـنٍ صَـراهُ أَثارَتْـهُ الأَكُـفُّ فَأَزْبَـدا[2]

يقول"الطرماح":

وَمـا هَـيَّمَ النَهـدِيُّ إِذْ طـالَ سُـقْمُهُ بِهِنْـدِ المَطـالي سـاعَةً لا أَهيمُهـا
ظَلِلْنـا بِـذاتِ النَعْـفِ بَينَ "عمايـة" وَخَبْرائِها طَلْحَي هَوىً ما نَريمُها
تَحِنُّ بِأَعْلى الهَيجِ ذي السِّدْرِ ناقَتي لِعِرْفانِ دارٍ قَدْ أَحالَتْ رسومُها[3]

(١) الراعي النميري، الديوان، مرجع سابق، ص ٥٨، ٥٩، وينظر: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٦، ص ٣٧، ٣٨.

(٢)محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٧، ص ٣٤٤.

(٣) الطرماح، الديوان، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ٢٤٥.

يقول "أبو العلاء المعري":

بِالغارِ مِنْ هَضْبَي "عماية" نازِلٌ ما زالَ توقَدُ نارُهُ بِالغارِ
وَكَبائِرُ الأَشياءِ تُحْدِثُ غَيرَها فَتُعيدُها مَوصوفَةً بِصِغارِ[1]

ويقول "سليمان النبهاني":

كأنّي على من حُمْر بين "عماية" وبين حبال الرمْث أو حمْر أورال
خِدبّ الشوى جأبٍ رُباعٍ مكدَّمٍ دميم الصلا عالي الطريقة صلصال[2]

تنوعت عند الشعراء صفات "عماية"، بل نجدها صفات متداخلة، لكننا سنتناول كل جزءٍ منهما بمفرده، وهي صورة المشهد الواحد في جميع الأمثلة على النحو الآتي:

الوصف الجغرافي:

يتشكل الوصف الجغرافي –في هذه الأمثلة– بين ذكر الماء وطبيعة التربة؛ حيث نجد كثرة المياه والمغاييل تبرز عند امرئ القيس في حديثه عن الحمار بقوله: (يمج لعاع البق في كل مشرب) فالدلالة تظهر في تعدد المياه –التي فوق سطح الأرض– وكثرتها، ونجد ذلك في كثير من أماكن عمايتين (الحصاتين) مثل: (طريف –خيم– ماسل – مويسل – الحلقة) وغيرها، حيث تبقى المياه فوق سطح الأرض أوقات كثيرة، ويؤكد على ذلك في البيت الذي يليه بقوله: (بمنحنية قد آزر الضال نبتها) حيث ينحني الوادي، وهو أخصب موضع فيه.

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، شرح اللزوميات، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٤٣، ٢٤٤.
(٢) سليمان النبهاني، الديوان، مرجع سابق، ص ١٩٩.

ونجد كثرة المياه تظهر عند (الراعي النميري) حينما تحدث عن القطا في قوله: (من غمر سلمى)، والغمر: الماء الكثير.

وفي قول (عمر بن لجأ) في وصفه (الجفر) بقوله: (هريتا كجفرٍ من "عماية")، والجفر "البئر الواسعة الجانبين التي لم تُطْوَ، وقيل: هي التي طُوِيَ بعضها ولم يُطْوَ بعض"(١)، وقد تعددت هذه (الأجفر) أو (الجفاره) في عمايتين (الحصاتين)، ولا يزال كثير منها قائمًا حتى الآن وحيٌّ يورد ويُشْرَبُ منه.

وقد وصف الشعراء "عماية" بكثرة القلات و"القَلْتُ، بإسكان اللام: النُّقْرةُ في الجَبَل تُمْسكُ الماءَ. وفي التهذيب: كالنُّقْرة تكون في الجبل، يَسْتَنْقِعُ فيها الماءُ. . . وهي حُفَرٌ خَلَقَها الله في الصُّخور الصُّمِّ"(٢)، ومن هؤلاء الشعراء الجناة الذين أقاموا بالجبل مثل "القتال الكلابي" حيث يقول مرة:

حَمَتْنيَ مِنها كُلُّ عَنقاءَ عَيْطَلٍ وَكُلُّ صَفًا جَمِّ القِلاتِ كَؤودِ(٣)

وفي قوله:

وَمَشْرَبُنَا قَلْتٌ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ شَرِيعَتُهَا لأينَا جَاءَ أَوَّلُ(٤)

---

(١)محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م ٧، ص ٣٤٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، م ٢، ص ٧٢، مادة قلت.

(٣) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣، وينظر: اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٥.

(٤) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ١٥٣٨.

وقد اشتملت عمايتان على كثير من القلات، منها قلتة الجدعاء التي تقع في شرق "عماية" الجنوبية، ويؤكد على كثرة المياه ما ورد في قصة (أوفى بن مطر) التي تناولناها في المبحث الثاني في أثناء حديثه لصاحبه في قوله: " فإنِّي أزحف حتى نلحق بـ"عماية"، فنشرب من مائِها، ونأكل من خُضَرِها"[١].

ومن الوصف الجغرافي والبيئي أيضًا الذي ورد في الأمثلة السابقة: (الروض، السفح، القيعة، الخباري).

فـ(الروض) نجده عند (الراعي النميري) في قوله: (بالروض روض عمايات)، والروض والرياض، جمع روضة، وهي الأرض المخضرة بأنواع النبات، وتكثر الرياض بـ"عماية" منها على سبيل المثال (روضة طريف).

النعف: نجده عند (الطرماح) في قوله: (بِذاتِ النَعفِ بَينَ "عماية" وخبرائها)، والنعف قيل اسم مكان في "عماية"، وهو في الأصل السفح ينحدر عن غلظ الجبل، ويرتفع عن مجرى السيل[٢].

والخبراء والخباري: هي "قاع من الأرض يستنقع فيها الماء، وتنبت السدر"[٣]، وغيره من النبات، ولا تكون مليئة بالخضرة المكشوفة عكس الروض يكون مليئًا بالخضرة الكثيفة المتداخلة.

الهيج: في قول (الطرماح) (بأعلى الهيج)، والهيج "بمعنى الأرض

(١) معمر بن المثنى التيمي (ت: ٢٠٩)، كتاب الديباج، مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) الطرماح، الديوان، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

التي يكثر فيها شجر السدر والسلم"[1]، وجميع هذه الصفات من قيعان وسفوح وخباري ورياض، ومنابت السدر والطلح والسلم والسرح كلها موجودة –بل بكثرة– في "عماية".

ومن الصفات الجغرافية التي تكثر في "عماية": الغيران، وهي جمع غار، والغار هو الظل من الصخرة، والمأوى من البرد والحر والمطر والعواصف، وربما يطلق على مجموعة الشجر، وذلك في التشبيه، ففي لسان العرب "الغار: مَغارةٌ في الجبل كالسرب، وقيل: الغارُ كالكهف في الجبل، والجمع الغيران. . . والغار: الجحر الذي يأوي إليه الوحشي. . . والغار: ضربٌ من الشجر"[2]، فنجد الحديث عن الغار في قول أبي العلا المعري: (بالغار من هضبي "عماية" نازل)؛ فالغار دلالة على الحماية من الشمس والبرد والمطر تحت فوهة صخرة أو كهف جبل. ونجد ذلك في قول "القتال الكلابي" في أثناء حديثه عن مصاحبة النمر بجبل "عماية":

وَلِي صَاحِبٌ في الغَارِ هَدَّكَ صَاحِبٌ أَبُـو الجَـوْنِ إلاَّ أَنّـهُ لَـمْ يُعَلَّـلُ[3]

وقـد عرفـت "عمايـة" بضـخامتها وكبرهـا وارتفاعهـا وكثـرة شـعابها، ويتبين ذلك في قول "القتال الكلابي":

حَمَتْنـيَ مِنهـا كُـلُّ عَنْقـاءَ عَيْطَـلٍ وَكُـلُّ صَـفًا جَـمٍّ القِـلاتِ كَـؤودِ[4]

---

(١) الطرماح، الديوان، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، م ٥، ص ٣٥، مادة غور.

(٣) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ١٥٣٨.

(٤) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣، وينظر: اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٥.

أي: كل مرتفع طويل ضخم.

ونجد الإشارة إلى وجود بعض أجزاء سوداء في "عماية"، يدل عليها قول: "شريح بن بجير بن أسد التغلبي":

وَلَـو أَنَّ قَـوْمي قَـومُ سَـوءٍ أَذِلَّـةٌ لَأَخْرَجَني عَوف بنُ عَوفٍ وَعِصْيَدُ[١]

وَعنْتَـرَةُ الفَلْحـاءُ جـاءَ مُلَأَّمًـا كَأَنَّـكَ فِنْـدٌ مِـن "عمايـة" أَسْـوَدُ[٢]

قال شريح هذه القصيدة في حرب بينه وبين بني مرة بن فزارة وعبس، يقول: إن قومه من بني تغلب قوم أعزة كرام، ولو كانوا قوم سوء أذلة؛ لكان قد أخرجه أمراء بني مرة عوفٌ بن عوفٍ وعِصْيَدُ، وكذلك عنترة الفلحاء، أي: صاحب الشفة السفلى المشقوقة، الذي جاء وقد لبس لأمته، أي: درعه، ويبدو كأنه قطعة عظيمة الحجم من جبل "عماية" ذات لون أسود. أما حجارة ذلك الجبل فهي شديدة صلبة. وقيل: عنترة (الفلحاء) بالتأنيث، جاءت اتباعًا للفظ عنترة المؤنث.

وصف الطبيعة:

ينقسم الوصف البيئي إلى الحديث عن النبات والحيوان، ونبدأ بالحديث عن النبات؛ وذلك لعلاقته المباشرة مع الوصف الجغرافي.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٤٨، مادة فلح.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٤٨، مادة فلح، وانظر: محمد بن القاسم بن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥، ص ٣٤٢.

النبات

نجد "عماية" تشتمل على كثير من أنواع النباتات، وقد تناول الشعراء جزءًا كبيرًا منها، وذلك بالتعميم أو بالإفراد، وقد برز الحديث في الوصف الجغرافي عن الروض وعن الخباري وإيحاءات تدل على التعميم في كثافة النبات والشجر، ولعل من ذلك قول "امرئ القيس": (بمحنية قد آزر الضالُ نبتها)، أي: أن هذا النبت لحق الشجر بطوله في محنية هذا الوادي، وهو أخصب موضع حتى ساوى بارتفاعه الشجر.

ومن هذا النبات: (البقل– الطلح– السدر– السلم)، وقد كانت هناك إشارات واضحة وصريحة لهذا النبات مثل قول "امرئ القيس" (يمج لعاع البقل في كل مشرب)، "أي: يخرج من فيه خُضْرة مما يأكل من البقل إذا هو شرب، وإنما أراد أنه خصب، فإذا شرب تساقط من فيه ما أكل من العشب"[1]، وهنا الدلالة على نوع من النبات يسمى (البقل) حتى هذا العصر، ويوجد في الحصاتين بكثرة، وخصوصًا في أوقات الأمطار حيث ينبت في بطون الشعاب.

ونجد ذكر (الطلح والسدر) صريحًا في قول الطرماح: (وخبرائها طلحي هوى ما نريمها)، وقوله: (تحن بأعلى الهيج ذي السدر ناقتي)، حيث نجد (الطلح)، وهو نوع من الشجر المعمر كثير الظل، له سيقان طويلة، وهو كثير في أودية "عماية"، بالإضافة إلى (السدر) الذي عرفت به "عماية" منذُ القدم حتى اليوم.

كما تظهر الإيحاءات بنبات السّلم بـ"عماية" من خلال حديث

(١) امرؤ القيس، الديوان، مرجع سابق، ص ٤٥.

الطرماح عن (الهيج)، وهو أحد أنواع نبات السلم الذي تحدثنا عنه في الوصف الجغرافي، بالإضافة إلى النبات الذي يتغذى من الإنسان، حيث ورد في حديث "أوفى بن مطر" لصاحبه: " ونأكل من خُضَرِها"[١].

الحيوان

من خلال تناول الشعراء "عماية" أبرزوا جزءًا من صفاتها البيئية، ولعل الحيوان كان له دور كبير في ذلك، وعلى سبيل المثال: (الوعل، المها، الناقة، الحمار الوحشي، النمر)، وقد خصصنا دراسة عن الوعل خلال هذا المبحث، وتناولنا (المها) في الحديث عن وصف المطر، أما (الناقة) فنجدها في قول الطرماح: (تحن بأعلى الهيج ذي السدر ناقتي) بالإضافة إلى تشبهها في السرعة بحمار "عماية" الذي ورد غير مرة، وذلك عند "امرئ القيس" في قوله: (أقب رباع من حمير "عماية")، وعند النبهاني في قوله: (كأني على من حمر بين "عماية" وبين حبال الرمث أو حمر أورال)، وقد ظهرت صورة (النمر) حينما صوره "القتال الكلابي" بمرافقته ومصاحبته له في أثناء اختبائه بـ"عماية"، في قوله:

وَلِي صَاحِبٌ في الغَارِ هَدَّكَ صَاحِبٌ أَبُـو الجَـوْنِ إلاَّ أَنّـهُ لَـمْ يُعَلَّـلُ[٢]

ويؤكد ذلك ما ورد في كتاب الأغاني عن هذا، حيث يقول صاحبه: "فمكث بـ"عماية" زماناً يأتيه أخ له بما يحتاج إليه، وألفه نمر في الجبل كان

(١) معمر بن المثنى التيمي (ت: ٢٠٩)، كتاب الديباج، مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ص ١٥٣٨.

يأوي معه في شعب"[1]، وما ورد –أيضًا– عن القتال الكلابي ومصاحبته للنمر في قوله: " فهرب إلى جبل يقال له "عماية"، فأقام في شعب من شعابه، وكان يأوي إلى ذلك الشعب نمرٌ، فراح إليه كعادته، فلما رأى القتال كشر عن أنيابه، ودلع لسانه، فجرد القتال سيفه من جفنه، فردَّ النمر لسانه، فشال القتال سيفه، فربض بإزائه، وأخرج براثنه، فسلَّ القتال سهامه من كنانته، فضرب بيده وزأر، فأوتر القتالُ قوسه، وأنبض وترها، فسكن النمرُ وألفه"[2].

وقد أَكَّدَتْ كثير من المعاجم والكتب التراثية كثيرًا من صفات "عماية"، التي تناولنا جزءًا منها في المبحث الأول.

(١) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣.

(٢) أبو الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، كتاب الأغاني، مرجع سابق، م٢٤، ص ٩٣.

الخاتمة

كان هذا البحث رحلة مع جبل "عماية"، وصورة حضوره في الأدب العربي، سواء أكان سردًا أو نثرًا، وقد خرج البحث بعدة من النتائج:

– عماية عمايتان. . فهما جبلان متجاوران في أرض نجد.

– "عماية" جبل ضخم مستدير، فيه أجزاء حمراء وأخرى سوداء، وهو كثير الكهوف والمياه والأودية والنباتات، عظيم الجِرْمِ، يُعَدُّ من أكبر الجبال وأشهرها في جزيرة العرب، وله من اسمه نصيب، كما بيّنَّا في البحث، ويطلق عليه الآن اسم الحصاة.

– كَشْفُ تحولات اسم "عماية" من العصر القديم حتى الحديث، وذلك من "عماية" إلى الحصاء، ثم إلى الحصاة.

– انطباق جميع الأوصاف القديمة على هذا الجبل حديثًا، مثل: "عماية" العليا و"عماية" السفلى، و"عماية" الجنوبية والشمالية، وهكذا، فلا تزال تكنى بهذه الصفات حتى الآن.

– تحديد مكان "عماية"، ووصفه وصفًا دقيقًا.

– حضور جبل "عماية" في قصص العرب في مجال سيرة حياة الجناة الذين لجأوا إليه فاختبأوا فيه، واتضح ذلك في قصص القتال الكلابي، وقعنب القشيري، وأوفى بن مطر، وأعراب بني أسد.

– حضور "عماية" في الحكم والأمثال والرسائل الأدبية.

– حضور "عماية" القوي في الشعر العربي عبر العصور المختلفة، حيث أكثر الشعراء من الحديث عنه، فرسمه في شعرهم، وشبهه في فخرهم

ومـدائحهم، وكـان لـه أثـر فـي حنيـنهم ووجـدانياتهم وغـزلهم ومـراثيهم وهجـائهم، وربمـا لا يخلـو غـرض مـن وجـود أثـر لـ"عماية" فـي أشـعارهم بالتصريح أو بالرمز.

- رَبْطُ الشعر بين "عماية" والنثر القصصي، وكان له حضور قوي، حيث كان الشعر المرتبط بالقصص أكثر دقةً ووصفًا.
- كان لوصف الطبيعة في الجبل نصيب في أشعار العرب، وكذلك الوصف الجغرافي، والبيئي بأمطاره ونباتاته وحيواناته وخصوصًا الوعول.
- تناوله الشعراء فكريًّا فتحدثوا عن فلسفة الموت فيه، وعن البعد والغياب وغير ذلك.
- وأخيرًا اتضح من البحث أن جبل "عماية" كان له حضور كثيف في أشعار العرب، فتناولوه من جوانبه كلها طبيعيًّا ووصفيًّا ومعنويًّا: فكريًّا وعاطفيًّا.

المصادر والمراجع

١– ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب. تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة، دار المعارف، ط٥.

٢– ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. حققه: د. إحسان عباس. بيروت، دار صادر.

٣– ابن الرومي، الديوان، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٤– ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، تصحيح: سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت.

٥– ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦– أبو تمام، الديوان شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢.

٧– أبو تمام، الديوان شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

٨– أبو حية النميري، الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

٩– أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، رسالة الصَّاهل والشّاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٢،

١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٠- أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، شرح اللزوميات، تحقيق: منير المدني، زينب القوصي، وفاء الأعصر، سيدة حامد، إشراف: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

١١- أبوهلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢- أحمد محمد أحمد إبراهيم النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

١٣- الأخفش الأصغر، كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٤- اعتدال عثمان، إضاءة النص- قراءات في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٥- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

١٦- جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٧- جرير، الديوان، شرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

١٨- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان

العرب، دار صادر، بيروت.

١٩– الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٠– الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض.

٢١– الحسن بن عبد الله القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: محمد حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٢٢– حمد فهد جنبان القحطاني، المها في حومل عند الشعراء – دراسة تحليلية، نُشرت في مجلة "جذور"، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، عدد ٤٣، رجب ١٤٣٧هـ، إبريل ٢٠١٦م.

٢٣– حمد فهد جنبان القحطاني، مواطن التعريف في منطقة العريف، دار المأمون، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٤– خالد بن عبد العزيز اللعبون، المكان في شعر البردوني دراسة موضوعاتية، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٢٥– ذو الرمة، الديوان، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٢٦– الراعي النميري، الديوان، تحقيق: راينهرت قابيرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن،

بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م.

٢٧- زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ.

٢٨- سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ١٣٩٨هـ.

٢٩- سلامة بن جندل، الديوان، صنعة: محمد بن الحسن الأحول، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٣٠- سليمان بن سليمان النبهاني، الديوان، تحقيق: عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عمان، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣١- الشريف محمد بن أبي أحمد الحسين الملقب بالرضي، الديوان، طبعه أحمد عباس الأزهري، طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت في المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٣٠٧هـ.

٣٢- الطرماح، الديوان، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣٣- عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين الخفاجي، الديوان، تحقيق: مختار الأحمدي نويوات، ونشيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٣٤- عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

٣٥– عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٨٧م.

٣٦– عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٧– عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمود شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٣.

٣٨– عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣٩– علي بن الحسن الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ.

٤٠– علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤١– عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

٤٢– عمرو بن قميئة، الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

٤٣– الفرزدق، الديوان، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤٤- القاسم بن علي بن هتيمل، الديوان، دراسة وتحليل، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، دار الكتاب العربي بمصر، ط١، ١٣٨١هـ.

٤٥- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦- الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٧- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، دار صادر، بيروت.

٤٨- لبيد بن ربيعة العامري، شرح الديوان، حققه وقدم له: إحسان عباس، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٩٦٢م.

٤٩- ليلى الأخيلية، الديوان، تحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

٥٠- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض.

٥١- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٥٢- محمد إبراهيم الدبيسي، مدار الكتابة المدينة المنورة دراسات ومقاربات، منشورات ضفاف، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٥٣- محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، نشر جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠١، ١٩٨١م.

٥٤– محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٥٥– محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدة.

٥٦– محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مطبعة مرامر، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.

٥٧– محمد بن القاسم بن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥.

٥٨– محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٥٩– محمد موسى الحازمي، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

٦٠– محمد نبيل طريفي، اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٦١– محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٦٢– معمر بن المثنى التيمي، كتاب الديباج، تحقيق: عبد الله بن سليمان الجربوع، وعبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦٣- المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمود شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

٦٤- منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: سيدة حامد عبد العال وحسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

٦٥- مهيار الديلمي، الديوان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م.

٦٦- هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات، تحقيق: حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦٧- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... – ٣٠١ –
المبحث الأول: "عماية» الوصف وتحولات الدلالة ..... – ٣٠٤ –
وصف "عماية» في كتب التراث ..... – ٣٠٤ –
علاقة الاسم بالجبل ..... – ٣٠٥ –
تحديد "عماية»: ..... – ٣٠٦ –
الحصاء "عماية» ..... – ٣١٧ –
"عماية» قديمًا. . الحصاة حديثًا: ..... – ٣٢٣ –
الحصاة ..... – ٣٢٤ –
المبحث الثاني: حضور "عماية» في الإبداع الأدبي ..... – ٣٢٦ –
"عماية» في قصص الجناة: ..... – ٣٢٦ –
–١– القَتَّال الكلابيّ ..... – ٣٢٦ –
–٢– قَعْنَبٌ القُشَيْرِيُّ ..... – ٣٣١ –
–٣– أوفى بن مطر ..... – ٣٣٢ –
–٤– أعراب بني أسد ..... – ٣٣٣ –
"عماية» في النثر العربي ..... – ٣٣٤ –
"عماية» في الحِكَم ..... – ٣٣٩ –
"عماية» في فن الرسائل ..... – ٣٤٠ –

المبحث الثالث: حضور "عماية» في الشعر .....– ٣٤٢ –

"عماية» الحضور والمثال.....– ٣٤٤ –

"عماية» البعد والغياب .....– ٣٥١ –

فلسفة الموت في "عماية» .....– ٣٥٨ –

تشبيه الجيوش بـ"عماية».....– ٣٦٢ –

وعل "عماية» .....– ٣٦٧ –

وصف المطر في "عماية» .....– ٣٧٤ –

مشاهد من "عماية» .....– ٣٨٢ –

الوصف الجغرافي: .....– ٣٨٥ –

وصف الطبيعة: .....– ٣٨٩ –

النبات.....– ٣٩٠ –

الحيوان .....– ٣٩١ –

الخاتمة .....– ٣٩٣ –

المصادر والمراجع .....– ٣٩٥ –

فهرس الموضوعات .....– ٤٠٣ –